الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المنكرين لها والمخالفين فيها

تأليف

أ.د / عـادل محمد محمـــد درويش

أستاذ الأديان والمذاهب والعقيـدة

بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

جامعة الأزهر

ملخص البحث

يتنـاول هـذا البحـث بالدراسـة موضـوع الشـفاعة وهـو مـن موضـوعات العقيـدة الإسلامية والتي طالما كثر الحديث عنها ودار الخلاف حولها في القديم والحديث، ويدور هذا البحث حول أهم نقاط هذا الموضوع ، فنقف أولا على تعريف الشفاعة وذكر الأدلة المثبتة لها من القرآن والسنة ، ونبين شروط الحصول على الشفاعة ، وأقسـامها فـي الـدنيا والآخـرة ، وأنواعهـا ، والوقـوف علـى الشـفاعة العظمـى والمقـام المحمود الذي خَصَّ الله بـه رسولنا محمداً ﷺ دون غيره من الرسل ومن النـاس ، بل ومن الخلق .

ثـم نـذكر الأسـباب التـي بتوفرهـا تحصـل الشـفاعة ، والأسـباب التـي تمنـع حصولها ، وعدم تحققها لا من الشافع ولا من المشفوع لـه .

ثم بعد ذلك نتناول أقوال منكري الشفاعة فنذكرها أولاً ونقف على الأسباب التي دعتهم إلى القول بذلك ، ثم نقوم بالرد عليهم في ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وأقوال السلف الصالح من علماء الأمة .

ثم نذكر في النهاية النتائج المستخلصة من هذا البحث .

الكلمات الدلالية:
الشفاعة–أهل السنة والجماعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه والمهتدين بهديه والسائرين على سنته إلى يوم الدين . **أما بعد :**

فإن موضوع الشفاعة من موضوعات العقائدية المهمة ، والتي يجب على كل مسلم أن يعرفها ويؤمن بها ، ويقف على ما جاء من آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة وثابتة عن رسول الله ﷺ بشأنها، إذ أن معرفة ذلك يزيد المؤمن إيمانًا ويقينا، وحبا لله تعالى ولرسول الله ﷺ ومعرفة مقامه وقدره عند ربه حيث خصه الله تعالى بالمقام المحمود عنده وعند خلقه ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾(١) .

كما أن معرفة هذا الموضوع والوقوف عليه يعرف المسلم فضل الله عز وجل ، وفضل رسولنا ﷺ ، وفضل ديننا دين الإسلام الذي ارتضاه الله لنا دينا ومَنَّ علينا به وهدانا إليه قال تعالى :﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾(٢).

كما أن معرفة المسلم لموضوع الشفاعة يمكنه من الرد على من ينكرها ولا يقر بها من المنكرين لها والمخالفين فيها ، بل ويدفعه ذلك إلى المسارعة إلى فعل الطاعة حتى تشمله يوم القيامة شفاعة خير الخلق وحبيب الحق محمد ﷺ .

ولقد اهتم العلماء رحمهم الله بموضوع الشفاعة ، فمنهم من تناوله عند شرحه ووقوفه على الآيات القرآنية المتحدثة عن الشفاعة ، ومنهم من تناوله عند دراسته لأحاديث رسول الله ﷺ المتناولة للشفاعة ، ومنهم من تناوله ضمن موضوعات

---

(١) سورة الفتح : الآيتان ٨ ، ٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣ .

العقيدة والحديث عن اليوم الآخر ، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية هذا الموضوع ، وقد رأيت أن أكتب فيه حسب معتقد أهل السنة والجماعة، وبالأخص في هذا الوقت الذي تظهر فيه الكتابات والمقالات التي ينكر فيها أصحابها الشفاعة بعمومها أو بعض أنواعها .

وقد جاء هذا البحث مشتملاً على مقدمة ، وسبعة مباحث وخاتمة :

المبحث الأول : تعريف الشفاعة .

المبحث الثاني : الأدلة على ثبوت الشفاعة وبيان شروط الحصول عليها .

المبحث الثالث : أقسام الشفاعة .

المبحث الرابع : أنواع الشفاعة .

المبحث الخامس : المقام المحمود الخاص برسول الله ﷺ .

المبحث السادس : الأسباب التي تحصل بها الشفاعة والأسباب التي تمنعها .

المبحث السابع : منكرو الشفاعة والمخالفون فيها والرد عليهم .

الخاتمة: وبها خلاصة الدراسة وأهم النتائج وأهم المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

وطريقتي في هذا البحث تقوم على تناول الموضوعات وعرضها عرضا مبسطا في ضوء ما جاء في المعاجم اللغوية وما جاء في آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، مع الرد على المنكرين والمخالفين ، بعد عرض أقوالهم وبيان أدلتهم التي استندوا إليها ، وبيان زيفها ودحضها .

هذا وأسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل ، والخطل ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن ينفع بهذا العمل طلاب العلم والمعرفة وأن يتقبله منا .

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[(١)].

المؤلف

أ.د / عادل محمد محمد درويش

(١) سورة آل عمران : الآية ٨ .

المبحث الأول

تعريف الشفاعة

أولاً : تعريف الشفاعة في اللغة :

الشفاعة : مشتقة من الشفع الذي هو غير الوتر ، يقال شفع الشيء ، ضم مثله إليه فجعل الوتر شفعاً[١] ، كلمة شفع مكونة من : " الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين ، والشفع خلاف الوتر "[٢] ، والوتر هو الواحد الذي لم ينضم إلى غيره .

يقال كان وتراً فشفعه ، والشفيع صاحب الشفعة وصاحب الشفاعة ، واستشفع إلى فلان ، سأله أن يشفع له إليه ، وتشفع إليه في فلان فشفعه تشفيعا ، فالشفع يقابل الوتر في اللغة ، إذ هو إضافة واحد إلى آخر بمعنى الزوج ، فالليالي الوترية هي الفردية بعكس الزوجية فهي شفع ، ومن ثَمَّ فسروا قسمه تعالى : ﴿**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾[٣] بأن الوتر يوم عرفة باعتبار أنه اليوم التاسع من ذي الحجة ، والشفع يوم النحر لأنه اليوم العاشر من ذي الحجة .

يقول الراغب الأصفهاني : " الشفعة : الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلا عنه ، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومن الشفاعة يوم القيامة"[٤].

ويقول القرطبي : "الأصل الشفاعة والشفعة ونحوها من الشَّفْع ، وهو الزوج في العدد ، ومن الشفيع ، لأنه يصير مع صاحب الحاجة شفعاً ، ومنه ناقة شفوع إذا جمعت بين محلبين في حلبة واحدة ، وناقة شفيع إذا اجتمع حمل وولد يتبعها، والشفع ضم واحد إلى واحد ، والشفعة ضم ملك الشريك إلى ملكك ، فالشفاعة إذاً

(١) راجع:القاموس المحيط باب العين ، فصل الشين ص ٩٤٧ ، المعجم الوسيط جـ٤٨٧/١.
(٢) معجم مقاييس اللغة – أبو الحسن أحمد بن فارس – جـ٢٠١/٣ .
(٣) سورة الفجر : الآية ٣ .
(٤) المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني– تحقيق محمد سيد كيلاني– دار المعرفة– بدون تاريخ ص ٢١٣ .

ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك ، فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له "[١] .

وجاء في لسان العرب[٢] : "شفع لي يشفع ، وتشفع : طلب ، والشفاعة : كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره ، والشافع : الطالب لغيره فيشفع به إلى المطلوب، واسم الطالب : شفيع . والشفيع : الشافع ، والجمع شفعاً ، ويُؤْجَرُ الشافع على شفاعته ، ولو لم تقض حاجة من شفع له ، وذلك لقوله ﷺ : (**اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء**)[٣] .

والشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره – وهو المشفع له – ويسمى شفيعاً وإن قبلت شفاعته فهو مشفع ، والمشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة ، فإن قبلها فهو مشفع ، فالشفاعة إذن الانضمام إلى آخر من أجل نصرته .

ثانيا : تعريف الشفاعة في الاصطلاح :

عرفت الشفاعة في الشرع بأنها: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وقيل : هي سؤال الخير للغير ، والحقيقة أن الشفاعة هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٤] ، حيث إن الشفاعة لا تنحصر في طلب الخير ودفع الشر، وبهذا تشمل أمور الدنيا والآخرة .

وعرفها الجرجاني بقوله : "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه "[٥] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي جـ٢٩٥/٥ – دار إحياء التراث العربي – ١٩٨٥م .

(٢) لسان العرب – لابن منظور – مادة شفع – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الزكاة – باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها جـ١٨/٢ – ح رقم ١٤٣٢ .

(٤) راجع : النهاية في غريب الحديث جـ٤٨٥/٥ ، شرح جوهرة التوحيد ص ١٨٦ ، لوامع الأنوار البهية جـ٤٨٨/١ .

(٥) التعريفات – لعلي بن محمد الجرجاني – دار الكتاب المصري ص ١٤٠ .

وبناء على ما تقدم من تعريف الشفاعة في اللغة والاصطلاح نقول :

إن عناصر الشفاعة أربعة :

١- المدعو أو المطلوب منه .

٢- الطالب أو الداعي الأول وهو صاحب الحاجة المطلوبة .

٣- الطالب الثاني لنفس المطلوب من نفس المطلوب منه .

٤- الشيء المطلوب المراد تحقيقه للطالب الأول .

وحسب مصطلح الشفاعة تكون العناصر التي تتم وتتحقق بها الشفاعة كالتالي :

١- المشفع عنده .   ٢- المشفع فيه .

٣- الشافع .   ٤- المشفع من أجله .

ففي مسألة الشفاعة سواء في الدنيا أو الآخرة : فإن الله سبحانه هو المشفع عنده ، والعبد الذي خف وزنه واستحق العذاب أو توقعه هو المشفع فيه للنجاة من العذاب ، وكذلك العبد الذي انتهى مصيره إلى النار هو المشفع فيه للخروج منها ، والشافع أو الشفيع وهو المقرب من الله تعالى الذي يدعوه عز وجل لكي ينقذ المشفع فيه الذي هو مستحق للعذاب ، أو يخرج من النار المشفع فيه الذي يعذب فيها ، ثم المشفع من أجله وهو النجاة من العذاب وطلب المغفرة والرحمة أو العفو والاخراج من العذاب .

المبحث الثاني

الأدلة على ثبوت الشفاعة وبيان شروطها

لقد جاء ذكر الشفاعة في القرآن الكريم وفي سنة الرسول ﷺ في آيات وأحاديث كثيرة تفيد ثبوتها ، وتبين شروط الحصول عليها .

أولاً : الأدلة على ثبوت الشفاعة .

١- الأدلة من القرآن الكريم :

- قول الله تعالى : ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾[4] ، فهذه الآيات تثبت الشفاعة وأن وقوعها حق ومن أنكرها فقد أنكر هذا القدر من القرآن الكريم .

- ويقول الله تعالى : ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾[5] .

وهذه الآيات تثبت- أيضا- أن هناك شفاعة لشافعين ، إلا أن الكفار محرومون منها، فهي تثبت في أساسها وجود الشفاعة فمن أنكر الشفاعة فقد أنكر هذه الآيات .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .
(٣) سورة طه : الآية ١٠٩ .
(٤) سورة النجم : الآية ٢٦ .
(٥) سورة المدثر : الآيات ٣٨ : ٤٨ .

- وعن تمني الكافرون أن يكون لهم شفعاء ليشفعوا لهم ، يقول الله تعالى : **﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاء فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾**(١) .

- ويقول الله تعالى : **﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**(٢) .

ففي هذه الآيات اعتراف من الكافرين بأنه ليس لهم من يشفع ، وهذا دليل على وجود الشفاعة والشفعاء ، فمن أنكر الشفاعة فقد أنكر هذه الآيات .

وفي القرآن الكريم مع هذه الآيات آيات كثيرة تثبت كلها تحقق الشفاعة ، وأنها بإذن الله ، وأنها ليست للكافرين .

٢- أدلة ثبوت الشفاعة من السنة النبوية :

إذا كان القرآن الكريم قد أثبت الشفاعة وعرض لنا شروطها عند الحديث عنها ، فإن السنة النبوية المطهرة قد فصلت الكثير عن الشفاعة ، حيث وردت فيها أحاديث كثيرة بحيث بلغت حد التواتر ومنها :

١- حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **(يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك ، فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم ﷺ فيقولون : أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من**

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٣ .

(٢) سورة الشعراء : الآيات ٩١ : ١٠٢ .

مكاننا هذا فيقول : لست هناكم[١] ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ، ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله ، قال : فيأتون نوحا ﷺ فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ، ولكن ائتوا إبراهيم ﷺ الذي اتخذه الله خليلاً ، فيأتون إبراهيم ﷺ ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ، ولكن ائتوا موسى ﷺ الذي كلمه الله وأعطاه التوراة ، قال : فيأتون موسى ﷺ ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته فيستحيي ربه منها ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى روح الله وكلمته ، فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمداً ﷺ ، عبداً قد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال : قال رسول الله ﷺ : فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، فإذا أنا رأيته وقعت ساجداً ، فيدعني ما شاء الله ، فيقول : يا محمد ، ارفع رأسك سَلْ تُعطَه ، اشفع تُشَفَّع ، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ، ثم أشفع فَيُحَدُّ لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة – فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة – قال : فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود)[٢] .

٢- عن أبي هريرة ﷺ قال : قلت يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال : (**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه)[٣] .**

٣- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال : (**إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله : من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**

---

(١) بمعنى : أنا لست أهلا لذلك .

(٢) صحيح البخاري – كتاب التوحيد – باب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء وغيرهم جـ٨ / ٢٠٠ ، ٢٠١ وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة ح رقم ١٩٣ .

(٣) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ٧ /٢٠٧ .

فأخرجوه ، فيخرجون قد امتحشوا[١] **، وعادوا حمماً**[٢] **، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل**[٣] **أو قيل حمية السيل ، وقال النبي ﷺ : ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية)**[٤] .

٤- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (**لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً**)[٥] .

٥- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**للأنبياء منابر من ذهب قال ، فيجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه أو لا أقعد عليه قائماً بين يدي ربي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة ويُبْقِي أمتي من بعدي فأقول يارب أمتي أمتي فيقول الله عز وجل يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون ، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار وآتي مالكاً خازن النار فيقول يا محمد ما تركت للنار لغضب ربك في أمتك من بقية**)[٦] .

٦- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ وذُكره عنده عمه أبو طالب فقال : (**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منها أم دماغه**)[٧] .

---

(١) امتحشوا : احترقوا بالنار .

(٢) حمما : الحُمَم الرماد والفحم وكل ما احترق من النار .

(٣) حميل السيل : الغثاء الذي يحمله السيل من طين وغيره .

(٤) صحيح البخاري كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ ٢٠٤/٧ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوته شفاعة لأمته ح رقم / ١٩٩ .

(٦) المستدرك على الصحيحين– للحاكم النيسابوري جـ١ /١٣٥ .

(٧) صحيح البخاري –كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ١ /٢٠٣ .

فالآيات القرآنيـة والأحاديث النبويـة تثبت أن الشـفاعة حـق وصـدق ، وعقيدة أهل السـنة القـول بثبـوت الشـفاعة والإيمـان بهـا يقـول شـيخ الإسـلام أبـو عثمـان الصابوني : " ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ومرتكبي الكبائر كما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ ، ودل على ثبوت الشفاعة الكتاب والسنة والإجماع "(١) .

يقول العلامة حافظ الحكمي رحمه الله : " فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله عليهم ، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه "(٢) .

وعلـى ذلـك أجمـع السـلف الصـالح مـن أهـل السـنة والجماعـة وقـالوا بثبـوت الشفاعة يوم القيامة على وُفْقِ ما ورد فيها من نصوص ولم ينكر الشفاعة أو بعض أنواعها إلا المبتدعة ، ومما يدل على هذا الإجماع ما ألفه أهل السنة والعقيدة من مؤلفات نصوا فيها على الشفاعة وأثبتوها وأكدوا أنها حق لا سبيل لإنكارها أبداً(٣) .

ثانيا : شروط الحصول على الشفاعة :

مـن خـلال اسـتعراض الأدلـة المثبتـة للشـفاعة فـي القـرآن والسـنة يتبـين أن الشفاعة لها شروط يجب توفرها لأجل الحصول عليها وهي :

١- أن يأذن الله تعالى للشافع أن يشفع قال تعالى:﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِـهِ**﴾(٤) وقولـه : ﴿**وَلا تَنفَـعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَـهُ**﴾(٥) ، وجاء في

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٦١ .
(٢) معارج القبول جـ٢ / ٢٥٦ .
(٣) راجع : الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها- د/ناصر عبد الرحمن ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ص ١٣-١٥ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .
(٥) سورة سبأ : الآية ٢٣ .

حديث الشفاعة من قول رسول الله ﷺ : (**فأستأذن على ربي ويلهمني محامد أحمده بها**)[١] .

٢- أن لا يشفع أحد في آخر إلا إذا كان الله تعالى قد رضي عن الشافع والمشفوع فيه بارتضائه قوله وعمله ، وذلك لقوله تعالى : ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾[٢] وقوله :﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾[٣] .

٣- أن لا يشفع أحد فيمن مات على الشرك والكفر وذلك لخلودهم في النار لقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾[٤] .

٤- توافر عنصر الاختيار والمشيئة والتقدير لإرادة الله وحده فهي ليست أمراً اختيارياً وإنما منوطة بأمر الله إن شاء قبلها أو شاء رفضها[٥] .

---

(١) صحيح البخاري–كتاب التوحيد– باب كلام الرب عز وجل مع الأنبياء جـ٨/ ٢٠٠ ، ٢٠٠١ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .

(٣) سورة طه : الآية ١٠٩ .

(٤) سورة البينة : الآية ٦ .

(٥) راجع : الإيمان باليوم الآخر ، د/عبد السلام التنوجي ط جمعية الدعوة الإسلامية العالمية – ليبيا ١٣٩٥هـ ص ٢٦٨–٢٧٠ بتصرف . ، معتقد أهل السنة والجماعة في الشفاعة – د/ عبد الله بن سليمان الغفيطي – مجلة البحوث الإسلامية – ص ١٢٨ ، ١٢٩ . العقائد الإسلامية ص ٣٧٥ ، اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث – د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس ص ٨٦ .

المبحث الثالث

أقسام الشفاعــة

تنقسم الشفاعة إلى قسمين : شفاعة الدنيا ، وشفاعة الآخرة ، أما شفاعة الدنيا فمنها الشفاعة الحسنة، والشفاعة السيئة، وأما شفاعة الآخرة فمنها الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية .

أولاً : شفاعة الدنيـا :

وهذه الشفاعة خاصة بالعباد ، فإذا انضم شخص إلى مظلوم لنصرته أو إلى صاحب حق لإيصاله إليه فهذه شفاعة حسنة يثاب صاحبها على فعل ذلك .

أما إذا انضم شخص لآخر لمساعدته على باطل فهذه شفاعة سيئة يعاقب صاحبها ، وعن ذلك جاء قول الله تعالى : ﴿**مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً**﴾[١] .

في هذه الآية يرغب الله المؤمنين في التوسط في الخير ، ويحذرهم من التوسط في الشر ، ومعنى الآية أن من يشفع شفاعة حسنة أي يتوسط في أمر يترتب عليه خير ﴿**يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا**﴾ أي : يكن له ثواب هذه الشفاعة الحسنة، ومن يشفع شفاعة سيئة ، وهي ما كانت في غير طريق الخير ﴿**يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا**﴾ أي : يكن له نصيب من وزرها وإثما لأنه سعى في الفساد ولم يسع في الخير .

والآية الكريمة وإن كانت واردة على سبيل التعميم في بيان جزاء كل شفاعة حسنة أو كل شفاعة سيئة ، إلا أن المقصود بها قصدا أوليا ترغيب المؤمنين في أن يعين بعضهم بعضا على الجهاد في سبيل الله ، وفي إنضمام بعضهم إلى بعض من أجل نصرة الحق ، وتهديد المنافقين الذين كان يشفع بعضهم إلى بعض من أجل أن يأذن لهم النبي ﷺ في التخلف عن الجهاد .

---

(١) سورة النساء : الآية ٨٥ .

وقد قيل إن الآية عني بها شفاعة الناس بعضهم لبعض ، وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذُكِرَ ثم عمَّ ذلك كل شافع بخير أو بشر ، وختم الله الآية بقوله ﴿**وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتاً**﴾ لأجل تعريف الناس أنه سبحانه سيجازي كل إنسان بعمله حتى يكثروا من فعل الخير ويقلعوا عن فعل الشر .

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : " قال مجاهد والحسن ، وابن زيد وغيرهم : هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم ، فمن يشفع شفاعة لينفع فله نصيب ، ومن يشفع ليضر فله الكفل ، والكفل الوزر والإثم ، وقيل : الشفاعة الحسنة في البر والطاعة ، والسيئة في المعاصي ، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم "(١) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الحث على الشفاعة الحسنة ، وتبين أن الشافع يؤجر على شفاعته ، ولو لم تقض حاجة المشفوع له ، لأن الشافع بذل ما يستطيعه وسعى في طلب النفع لأخيه ، ومن هذه الأحاديث حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :(**كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : اشفعوا فلتؤجروا ، وليقض الله على لسان نبيه ما أحب**)(٢) .

قال صاحب الكشاف : " الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودُفِعَ بها عنه شر أو جلب إليه خير ، وابتغي بها وجه الله ، ولم تؤخذ عليها رشوة ، وكانت في جائز لا في حد من حدود الله ، ولا في حق من الحقوق – الواجبة عليه – والسيئة ما كانت بخلاف ذلك ، وقد روي عن مسروق : أنه شفع شفاعة فأهدي إليه المشفوع له جارية فغضب وردها ، وقال : لو علمت ما في قلبك ما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما يقي منها "(٣) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٥ /٢٩٥ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والأدب– باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام ح رقم / ٢٦٢٧ .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ١ / ٥٤٣ .

ومما سبق يتبين أن الشفاعة في الدنيا على قسمين :

القسم الأول : قسم محمود ومشروع **(الشفاعة الحسنة)** : وهو : الشفاعة في الأمور المباحة التي يترتب عليها جلب النفع للمسلم دون التعدي فيها على حق من حقوق الله عز وجل أو حقوق الناس .

وأما القسم الثاني : فهي الشفاعة التي يترتب عليها إسقاط حد من حدود الله عز وجل، أو ظلم لأحد من الناس، أو إبطال حق .

" وجواز الاستشفاع مشروط بأن يكون في حق ضاع أو حق يخشى ضياعه أو في شيء مباح ينتفع به ، أما أن يكون في إثم بإسقاط حق من الحقوق أو تعطيل حد من الحدود فلا ، وذلك لقوله تعالى : ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[١] ، ولقول الرسول ﷺ :(**إذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع**[٢])[٣] .

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تحذر من الشفاعة في الحدود إذا بلغت السلطان فقد رد الرسول ﷺ شفاعة أسامة بن زيد في المرأة المخذومية التي سرقت ، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخذومية التي سرقت ، فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ :(**أتشفع في حد من حدود الله!؟**) ثم قام فخطب ثم قال:(**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**)[٤].

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) أخرجه مالك في الموطأ موقوفا جـ٢/٨٣٥، وأخرجه الدارقطني في مسنده جـ٣/ ٢٠٥.

(٣) عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ١٥٤ .

(٤) صحيح البخاري–كتاب الحدود– باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان جـ٧ /١٦ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله عز وجل فقد ضاد في الله أمره ...**)(١) .

وبناء على هذا ذهب العلماء إلى أن الشفاعة لا تقبل في الحدود إذا بلغت الحاكم ، يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى : " ذكر مسلم رضي الله عنه في باب الأحاديث في النهي عن الشفاعة في الحدود وأن ذلك هو سبب هلاك بني إسرائيل ، وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة في الحد بعد بلوغه إلى الإمام لهذه الأحاديث وعلى أنه يحرم التشفع فيه "(٢) .

ويقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : " اختلف العلماء في ذلك فقال أبو عمر بن عبد البر : لا أعلم خلافا أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة ما لم تبلغ السلطان ، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته ، وذكر الخطابي وغيره عن مالك أنه فرق بين من عُرِفَ بأذى الناس ومن لم يعرف ، فقال : لا يشفع للأول مطلقا سواء بلغ الإمام أم لا ، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يشفع له ما لم يبلغ الإمام "(٣) .

ثانيا : شفاعة الآخـرة

تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى قسمين : شفاعة منفية ، وشفاعة مثبتة .

١- الشفاعة المنفية :

الشفاعة المنفية هي التي لا وجود لها حقيقة ولا واقعا ، لأن الله نفاها ، ونفاها رسوله ﷺ ، وهي التي تُطْلَبُ من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(٤) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٢/٧٠، والحاكم في المستدرك جـ٢/٢٧ وقال صحيح الإسناد.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي جـ١١ / ١٨٦ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ١٢ / ٩٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .

ومن صور الشفاعة المنفية أيضا :

- شفاعة الآلهة التي عُبِدَتْ من دون الله أو معه ، ومنه قوله تعالى : ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[١]، وقوله تعالى : ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾[٢]،وقوله تعالى:﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ**﴾[٣] .

فقد بينت الآيات القرآنية أن الشفاعة الشركية التي يفعلها الناس مع بعضهم البعض شفاعة منفية لا وجود لها .

يقول الإمام ابن القيم الجوزية : " فالشفاعة التي أبطلها الله شفاعة الشريك ، فإنه لا شريك له ، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ، ويقول : اشفع في فلان ، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعليقات الشرك وشوائبه ، وهم الذين ارتضى الله سبحانه "[٤] .

- ومن الشفاعة المنفية ، الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع أو عدم رضاه عن المشفوع له ، قال تعالى : ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[٦]،[٧] .

---

(١) سورة الزمر : الآيتان ٤٣ - ٤٤ .
(٢) سورة غافر : الآية ١٨ .
(٣) سورة يونس : الآية ١٨ .
(٤) إغاثة اللهفان جـ١ /٢٢٠ - دار المعرفة - بيروت .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .
(٦) سورة الأنبياء : الآيات ٢٦-٢٨ .
(٧) راجع : الشفاعة د/ فاروق الدسوقي ص ٦١ وما بعدها .

٢- الشفاعة المثبتة[١] :

وهي الشفاعة التي يتحقق وقوعها يوم القيامة بعدما يأذن الله تعالى للشافع ورضاه عن المشفوع له ، وهذه الشفاعة قسمان :

القسم الأول : شفاعات النبي ﷺ ، ومن الأدلة على ذلك حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: (**أُعطيت خَمْسًا : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرض مسجداً وطهور ، وأُحِلَتْ لِيَ الغنائم، ولم تحل لمن كان قبلي، ونُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة ، وليس من نبي إلا قد سأل شفاعة ، وإني اختبأت شفاعتي، ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا**)[٢] .

القسم الثاني: شفاعات غير الرسول ﷺ: ومنها شفاعة الملائكة–شفاعة الأنبياء– شفاعة المؤمنين – شفاعة الشهداء– شفاعة أولاد المؤمنين – شفاعة الصيام والقرآن .

وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي – إن شاء الله – تحت أنواع الشفاعة .

---

(١) راجع : معتقد أهل السنة والجماعة في الشفاعة – مجلة البحوث الإسلامية – العدد ٦٤ – د/ عبد الله بن سليمان الغفيلي ص ١٣٠ ، إسلامية لا وهابية – د/ ناصر بن عبد الكريم العقل – ص ١٣٥ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٤ /٤١٦ وقال الهيثمي في المجمع جـ٢ /٢٥٨ رواه أحمد متصلاً ومرسلاً ، والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

المبحث الرابع
أنـواع الشفاعـة

أولاً : شفاعة الرسول ﷺ :

لرسول الله محمد ﷺ عدة شفاعات يوم القيامة ، فهو المقدم على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، وهذه الشفاعات هي :

١- الشفاعة العظمى :

وهي خاصة بنبينا محمد ﷺ دون غيره ، ذلك أنه إذا كانت القيامة وبلغ الكرب بالناس ما بلغ يُهْرَعُونَ إلى الأنبياء ليشفعوا لهم عند الله ليخلصهم مما هم فيه ويأتي للفصل بينهم ، فيذكر كل نبي ذنبه ، ويحيل إلى الآخر حتى إذا انتهوا إلى محمد ﷺ فإنه يذهب ويسجد تحت العرش ، ثم يسأل الله الشفاعة في ذلك فيجيبه عز وجل لذلك ويأتي للفصل بين العباد(١) .

وهذه الشفاعة أعظم الشفاعات كلها ، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى ، فهي شفاعة لأهل الموقف جميعا على اختلاف اعتقاداتهم ومذاهبهم .

وقد أجمع أهل الإسلام على هذه الشفاعة، ومن الأدلة عليها قول الله تعالى: **﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾**(٢) ، وقد ورد في السنة أحاديث كثيرة موضحة لها ومنها :

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن معبد بن هلال العنزي قال: " انطلقنا إلى أنس بن مالك، وتشفعنا بثابت، فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت، فدخلنا عليه، وأجلس ثابت معه على سريره فقال له: يا أبا حمزة، إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة.

---

(١) راجع : تهذيب شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٣ ، عقيدتنا جـ٢ /١٦٨ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .

فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: **(إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون خليل الله، فيأتون إبراهيم، فيقول : لست لها، ولكن عليكم بموسى، فإنه كليم الله، فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى، فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد، فأؤتى فأقول : أنا لها، ثم انطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها إلا أن يلهمنيها، ثم أخر لربنا ساجداً، فيقول: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك ، وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بُرَّةٍ أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل .**

ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل .

ثم أعود إلى ربي أحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب أمتى أمتى ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان أخرجه من النار فأنطلق فأفعل) .

هذا حديث أنس الذي أنبأنا به ، فخرجنا من عنده ، فلما كنا بظهر الجبَّان[1]، قلنا : لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مستخف في دار أبي خليفة ؟ قال : فدخلنا عليه ، فسلمنا ، وقلنا يا أبا سعيد ، جئنا من عند أخيك أبي حمزة ، فلم نسمع بمثل حديث حدَّثناه في الشفاعة ، قال : هيه ، فحدثناه الحديث فقال هيه، قلنا ما زادنا ، قال قد حدثنا منذ عشرين سنة ، وهو يومئذ جميع[2] ، ولقد ترك شيئا

---

(١) الجبان ، والجبانة المقابر .

(٢) رجل جميع : مجتمع الخلق قوي ، لم يهرم ، ولم يضعف .

ما أدري أنسي الشيخ ، أم كره أن يحدثكم فتتَّكلوا ؟ قلنا لـه : حدثنا ، فضحك وقال : خلق الإنسان من عجل ، ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أحدثكموه .

قال : (**ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمد بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه ، واشفع تشفع فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: فليس ذلك لك، أو قال: ليس ذلك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**) قال : فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك– أراه قال : قبل عشرين سنة – وهو يومئذ جميع(١) .

٢– روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " **كنا مع النبي ﷺ في دعوة ، فَرُفِعَ إليه الذراع – وكانت تعجبه – فنهس منها نهسة ، وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون : مم ذاك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس ، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، فيقول الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم .**

فيأتونه ، فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا ؟ فقال : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت، نفسي، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحا ، فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا ؟ ألا تشفع لنا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح رقم /٧٥١٠ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الشفاعة ح رقم ٤٧٨ .

عند ربك ؟ فيقول : إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنَّه قد كان لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله، وإن كنت كذبت ثلاث كذبات ... فذكرها – نفسي، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى فيقولون : أنت رسول الله ، فضلك برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ، أما ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها ، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى ، فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبل مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي ، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ، فيأتون محمداً ﷺ – وفي رواية : فيأتون فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن

ما بين المصراعين من مصاريع الجنة ، كما بين مكة وهجر – أو كما بين مكة وبصرى – وفي كتاب البخاري ما بين مكة وحمير .

وفي رواية قال: **(وُضِعَتْ بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع – وكانت أحبَّ الشاة إليه – فنهس نهسة ، فقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، ثم نهس أخرى ، فقال أنا سيد الناس يوم القيامة ، فلما رأى أصحابه لا يسألونه، قال: ألا تقولون: كيفه؟ قالوا كيفه يا رسول الله؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين ... وساق الحديث بمعنى ما تقدم، وزاد في قصة إبراهيم، فقال: وذكر قوله (هذا ربي)، وقوله لآلهتهم، (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله: (إني سقيم)، وقال: والذي نفس محمد بيده ، إن ما بين المصراعين من مصارع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر ، أو هجر ومكة ، لا أدري أي ذلك قال ؟)** . أخرجه البخاري ومسلم والترمذي إلا أن في صحيح مسلم "**نفسي نفسي**" مرتين في قول كل نبي ، وفي رواية الترمذي **(نفسي ، نفسي ، نفسي)** ثلاثاً في الجميع[1] .

٣- روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ – آدم فمن سواه – إلا تحت لوائي ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر ، فقال : فيفزع الناس ثلاث فزعات ، فيأتون آدم ، فيقولون : أنت أبونا آدم ، فاشفع لنا إلى ربك ، فيقول : إني أذنبت ذنبا ، فأهبطت به إلى الأرض ، ولكن ائتوا نوحاً ، فيأتون نوحاً ، فيقول : إني دعوت**

---

(١) رواه البخاري جـ٦ /٢٦٤، ٢٦٥ في الأنبياء – باب قول الله عز وجل : **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ)** ، وباب قول الله تعالى : **(وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)** ، وفي تفسير سورة بني إسرائيل باب : **(ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً)** ، ورواه مسلم رقم ١٩٤ في كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم ٢٤٣٦ في صفة القيامة – باب ما جاء في الشفاعة .

علـى أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : إني كذبت ثلاث كذبات ، ثم قال رسول الله ﷺ : ما منها كذبة إلا ماحل[١] بها عن دين الله، ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى، فيقول : إني عُبِدْتُ من دون الله ولكن ائتوا محمداً ﷺ ، فيأتون ، فأنطلق معهم . قال ابن جدعان: قال أنس فكأني انظر إلى رسول الله ، قال : فآخذ بحلقة باب الجنة ، فأقعقعها ، فيقال : من هذا ؟ فيقال : محمد ، فيفتحون لي ويرحبون ، فيقولون : مرحباً ، فأخر ساجداً ، فيلهمني الله من الثناء والحمد ، فيقال لي : ارفع رأسك ، سل تُعْطَ ، واشفع تُشَفع ، وقل يسمع لقولك، وهو المقام المحمود الذي قال الله تعالى : ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[٢] قال سفيان : ليس عن أنس إلا هذه الكلمة " فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقها " أخرجه الترمذي[٣] .

فهذه الأحاديث تدل على ثبوت الشفاعة العظمى لرسول الله محمد ﷺ ، وتبين أن أهل الموقف يرغبون إلى الأنبياء وآخرهم محمد ﷺ كي يخلصوهم من الموقف العظيم .

يقول الإمام ابن خزيمة مستدلاً بهذه الأحاديث على ثبوت الشفاعة العظمى : " هذه الشفاعة التي وصفها أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقض الله بين الخلق ، فعندها يأمر الله عز وجل أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن[٤] " .

ويقول الإمام أبو عبد الله القرطبي : "وقوله : **(فيقال : يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه)** يدل على أنه شُفِّعَ فيما طُلِبَ من تعجيل حساب أهل

---

(١) المماحلة : المخاصمة والمجادلة .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٧٩ .

(٣) أخرجه الترمذي رقم ٣١٤٧ في كتاب التفسير – باب ومن سورة بني إسرائيل ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(٤) التوحيد لابن خزيمة جـ١ / ٥٩٣ .

الموقف ، فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته ، فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم[١] " .

ويقول الإمام ابن تيمية : "أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه[٢] " .

٢- الشفاعات الأخرى لرسول الله ﷺ :

١- **شفاعته ﷺ لفتح أبواب الجنة ودخول أهلها** : فقد ثبت في الأحاديث أن المؤمنين عندما يطول عليهم الموقف في يوم القيامة يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجنة ، فكلهم يتمنع ويتأبى ويقول : لست لها حتى يبلغ الأمر نبينا محمداً ﷺ فَيَشْفَعُ في ذلك ، فَيُشَفَّعُ ، ففي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ :(**يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون ، حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا أبانا ، استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم ، ليست بصاحب ذلك ....**[٣]) الحديث . وذكر فيه تدافع الأنبياء لها ، حتى يأتون محمداً ﷺ ، فيؤذن له .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : (**آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمرت ، لا أفتح لأحد قبلك**[٤]) .

فالأحاديث تدل على أن نبينا ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها يوم القيامة.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٢٤٥ .
(٢) شرح العقيدة الواسطية ص ٢١٥ .
(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان – باب أدنى أهل الجنة منزلة جـ٤ /١٨٦ رقم ١٩٥ .
(٤) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب قول النبي ﷺ : **(أنا أول شفيع يشفع في الجنة)** جـ١ /١٨٨ .

٢- الشفاعة في دخول بعض المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب :

ومن الأدلة على ذلك حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:(**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي**)[(١)] .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : (**عُرِضَتْ عَليَّ الأمم ، فأخذ النبي يمر معه الأمة ، والنبي يمر معه النفر ، والنبي يمر معه العشرة ، والنبي يمر معه الخمسة ، والنبي يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت : يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال : لا ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير قال : هؤلاء أمتك ، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب ، قلت : ولم ؟ قال : كانوا لا يكتوون ، ولا يسترقون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون**) فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : (**اللهم اجعله منهم**) ثم قام إليه رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : (**سبقك بها عكاشة**)[(٢)] .

٣- الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم:

ومن الأدلة على ذلك دعاؤه ﷺ لأبي سلمة بعد موته بأن يرفع الله درجته في المهديين ، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دعا لأبي سلمة لما توفى فقال : (**اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٥/٢٥٠، والترمذي في سننه–كتاب صفة القيامة– جـ٤/٦٢٦، وقال: هذا حديث حسن غريب، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره جـ١/٣٩٤ . وهذا إسناده جيد .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الرقاق – باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب – جـ٧ /١٩٩ ، ومسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب جـ١ /٣٩٩ .

في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور لـه فيـه[١] **)** .

وفي الصحيحين وغيرهما من رواية أبي موسى الأشعري، لما أصيب عمه أبو عامر، في غزوة الأوطاس[٢]، وأخبر أبو موسى رسول الله ﷺ رفع يديه وقال:(**اللهم اغفر لعبيدٍ أبي عامر، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**[٣]).

٤- **شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم بأن يدخلوا الجنة ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلوها .**

والدليل على هذا النوع من الشفاعة ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**ينصب للأنبياء يوم القيامة منابر من ذهب، فيجلسون عليها ، قال : ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي الله عز وجل ، منتصباً بأمتي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة ، وتبقي أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي، فيقول الله: يا محمد؛ وما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم ، فيدعو بهم فيحاسبون ؛ فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله تعالى، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ، وما أزال أشفع ، حتى أعطي صكاكا**[٤] **برجال قد بعث بهم إلى النار ، حتى إن مالكاً خازن جهنم ليقول : يا محمد ؛ ما تركت لغضب ربك على أمتك من نقمة**[٥]) .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز – باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر – رقم ١١٠ .

(٢) الأوطاس : واد في ديار هوازن ، كانت فيه وقعة حنين بين النبي ﷺ وبين هوازن ولما اشتد القتال قال عليه الصلاة والسلام **(الآن حُمِي الوطيس)** وهو – ﷺ – أول من قاله : راجع: النهاية في الفتن الملاحم – لابن كثير جـ٢ /١٧٩ .

(٣) صحيح البخاري – كتاب الجهاد والسير – باب نوع السهم في البدن رقم ح/٢٨٨٤ ، وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر ح رقم ٦٣٥٦ .

(٤) صكاكا : الصك معناه الوثيقة وهو مطبوع بشكل خاص .

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وذكره العراقي في " المغني عن حمل الأسفار " جـ٤/٥١٠ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:(**يحشر الناس عراة، فيجتمعون شاخصة أبصارهم إلى السماء، يبصرون فصل القضاء قياماً أربعين سنة، فينزل الله عز وجل من العرش إلى الكرسي فيكون أول من يدعى إبراهيم الخليل ، عليه الصلاة والسلام، فيكس قبطتين من الجنة، ثم يقول الله عز وجل: ادعوا إليَّ النبي الأمي محمداً، قال: فأقوم فأكس حلة من ثياب الجنة، قال: ويُفَجَّرُ لي الحوض وعرضه كما بين أيله إلى الكعبة، قال: فأشرب، واغتسل، وقد تقطعت أعناق الخلائق من العطش، ثم أقوم عن يمين الكرسي، ليس أحد قائم ذلك المقام غيري، ثم يقال: سل تعطه، واشفع تشفع، فقال رجل: أترجو لوالديك شيئا يا رسول الله؟ قال: إني لشافع لهما، أعطيت أو منعت، وما أرجو لهما شيئاً**)[1] .

وعنه ﷺ قال: (**أمر بقوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار فيقولون: انطلق فأخرج من شاء الله أن تخرج؛ ثم ينادي الباقون: يا محمد ؛ ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب فأستأذن ، فيؤذن لي ، فأسجد ، فيقول : ارفع رأسك ، سل تعط، واشفع تشفع ، فأقوم فأثني على الله بثناء لم يثن عليه به أحد، ثم أقول: قوم من أمتي قد أمر إلى النار ، فيقول : انطلق فأخرج منهم من قال لا إله إلا الله، فأقول: ومن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان؟ قال: فيقول: يا محمد، ليست تلك لك تلك لي، قال: فأنطلق فأخرج من شاء الله أن أخرج، قال : ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به، وقد أدخلكم إلى النار، قال : فيحزنون لذلك ، قال فيبعث الله ملكا بكف من ماء، فينضح بها في النار، فلا يبقى أحد من أهل لا إله إلا الله إلا وقعت في وجهه قطرة، قال : فيعرفون بها، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون، فيدخلون الجنة ، فيقال لهم : انطلقوا ، فيضيفون الناس ، فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد ، كان لهم عنده سعة ، ويسمون المجردين**[2] .

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه جـ٢/٤٣٨ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ١/٢٢٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك جـ٢/٤٣٨ .

يقول الحافظ ابن كثير : " وهذا السياق يقتضي تعدد الشفاعة ، فيمن أُمِرَ بهم إلى النار ثلاث مرات أن لا يدخلوها ، ويكون معنى قوله : (فَأُخْرِجُ) أُنْقِذُ بدليل قوله بعد ذلك : **(ويبقى قوم فيدخلون النار)**[١] .

٥- **شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمته ممن دخلوا النار فيخرجون منها :**

أهل الكبائر هم العصاة من أهل الإسلام الذين دخلوا النار بذنوبهم ، فيشفع فيهم الرسول ﷺ وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها .

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد** ﷺ **فيدخلون الجنة ، ويسمون الجهنميين**[٢]) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**[٣]) ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (**خيرت بين الشفاعة، أو يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة ، لأنها أعم وأكفى ، أترونها للمتقين ؟ لا ولكنها للمتلوثين الخطائين**[٤]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إن لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي ، شفاعة لأمتي ، نائلة إن شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً**[٥]) .

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم جـ١٧٨/٢ . راجع: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٤١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ٢٠٣/٧ .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب : السنة – باب في الشفاعة ح رقم ٤٧٣٦ ، وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع – باب ١١ ح رقم ٢٤٣٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٢١٣/٣ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده جـ٧٥/٢ ، والبيهقي في كتاب الاعتقاد ص ٢٠٢ ، قال المنذري رواه أحمد والطبراني وإسناده جيد .

(٥) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب اختباء النبي ﷺدعوة الشفاعة لأمته ص ٤٩٠ .

والشفاعة في أهل الذنوب ليست خاصة بالرسول ﷺ ، فقد يشفع النبيون والشهداء والعلماء ، وقد يشفع للمرء أعماله ، ولكن رسولنا ﷺ له النصيب الأوفر منها ، وقد يشفع غيره أيضا في رفع درجات المؤمنين ، وبقية الأنواع خاصة برسول الله ﷺ .

٦- **شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه** : كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه ، حيث يخرجه الله به إلى ضحضاح(١) من نار يغطي قدميه يغلي لهما دماغه .

ففي الحديث أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : (**نعم هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**(٢)) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذُكِرَ عنده عمه فقال :(**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**(٣))، وقد ورد أن أبا طالب أهون أهل النار عذاباً .

وهذه الشفاعة خاصة برسول الله لعمه بسبب دفاعه عن الرسول ﷺ ونصرته له، ولا تعارض بين ذلك وبين قول الله تعالى: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾(٤) فالمراد لا تنفعهم في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين(٥).

ثانياً : شفاعات الشافعين غير رسول الله ﷺ :

---

(١) الضحضاح في الأصل : مارقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار ، راجع : النهاية في غريب الحديث جـ٣/١٩٥ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب مناقب الأنصار – باب قصة أبي طالب جـ٤/٢٤٧ ، وصحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب جـ١/١٩٥ .

(٣) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ٧/٢٠٣ .

(٤) سورة المدثر : الآية ٤٨ .

(٥) راجع : عقيدتنا جـ٢/١٧٠ .

يأذن الله تعالى يوم القيامة بالشفاعة للأنبياء والرسل غير نبينا محمد ﷺ ، والملائكة والصحابة والصديقين والشهداء والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم .

يقول السفاريني : "يجب أن يُعْتَقَدَ أن غير النبي ﷺ من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم ، يُشَفَّعُون وبقدر جاههم ووجاهتهم يَشْفَعوُن ، لثبوت الأخبار بذلك وترادف الآثار ، وهو أمر جائز غير مستحيل ، فيجب تصديقه والقول بموجبه لثبوت الدليل "[١] .

١- شفاعة الملائكة الكرام :

قال تعالى:﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ *لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾[٢]،وقال تعالى:﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إلا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾[٣] .

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ جاء فيه : (**فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط** .....[٤]) .

(١) لوامع الأنوار جـ٢/٢٠٩ .
(٢) سورة الأنبياء : الآيات ٢٦ – ٢٨ .
(٣) سورة النجم : الآية ٢٦ .
(٤) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية جـ١/١٦٧ – ١٧١ .

٢- شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

يشفع الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة للمذنبين من الموحدين فقد جاء في الحديث عن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : (**أول من يشفع يوم القيامة : الأنبياء ، ثم الشهداء ، ثم المؤمنون**)[١] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**إذا مُيّز أهل الجنة وأهل النار فدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قامت الرسل فشفعوا فيقول : انطلقوا أو اذهبوا فمن عرفتم فأخرجوه ، فيخرجونهم قد امتحشوا على حافة النهر ، ويخرجون بيضا مثل الثعارير[٢] ، ثم يشفعون ، فيقول : اذهبوا أو انطلقوا فمن وجدتم في قلبه مثقال قيراط من إيمان فأخرجوه، قال : فيخرجون بشراً ثم يشفعون ، فيقول: اذهبوا أو انطلقوا فمن وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردلة من إيمان فأخرجوه، ثم يقول الله ، أنا الآن أخرج بعلمي ورحمتي، قال فيخرج أضعاف ما أخرجوا وأضعافه ، فيكتب في رقابهم : عتقاء الله ، ثم يدخلون الجنة ، فيسمون فيها الجهنميين[٣]**) .

٣- شفاعة المؤمنين :

يُشَفِعُ الله تعالى المؤمنين الذين نجاهم من النار وأدخلهم الجنة فيمن بقي في النار من عصاة المسلمين .

ومن الأدلة على هذه الشفاعة : ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري السابق، وفيه:(**حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذي نفسي بيده ما منكم من أحد**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد – باب ذكر الشفاعة ح رقم ٤٣١٣ ، وأخرجه البزار في مسنده ح رقم ٣٤٧١ .

(٢) الثعارير : هي القثاء الصغار ، شبهوا بها ، لأن القثاء ينمو سريعا ، وقيل : هي رؤوس الطراثيث تكون بيضاً ، شبهوا ببياضها ، واحدتها طرثوث ، وهو نبت يؤكل . النهاية في غريب الحديث جـ٤/٣٠٢ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٣/٣٢٦ ، وابن حبان في صحيحه جـ١/٣٥١ .

بأشد مناشده لله في استقصاء الحق ، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم ، فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً) ، وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤوا إن شئتم : ﴿**إِنَّ اللّـهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً**﴾[١]، فيقول الله عز وجل : (**شفعت الملائكة ، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ....**[٢]) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**يُصَّفُ الناس يوم القيامة صفوفا – وقال ابن نمير : أهل الجنة – فيمر الرجل من أهل النار على الرجل ، فيقول : يا فلان ، أما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة ؟ قال : فيشفع له ، ويمر الرجل على الرجل ، فيقول : أما تذكر يوم ناولتك طهوراً ؟ فيشفع له ، ويمر الرجل على الرجل فيقول : أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك ، فيشفع له**)[٣] .

ومن الأحاديث الواردة في شفاعة المؤمنين لأهليهم : حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:(**إن من أمتي من يشفع للفئام**[٤] **ومنهم من يشفع للعصبة**[٥] **، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة**[٦]) .

---

(١) سورة النساء : الآية ٤٠ .
(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية جـ١/١٦٧ – ١٧١ .
(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الأدب – باب فضل صدقة الماء ح رقم ٣٦٨٥ .
(٤) الفئام : الجماعة الكبيرة .
(٥) العُصْبَةُ : ما بين العشرة إلى الأربعين : القاموس المحيط جـ٣/٢٣٦ .
(٦) أخرجه الترمذي في سننه جـ٤/٦٢٧ كتاب صفة القيامة، وقال : حديث حسن ح رقم ٢٤٤٠ .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين ربيعة ومضر ، أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر**[١]) .

وعن عبد الله بن أبي الجدعاء أنه سمع النبي ﷺ يقول : (**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم ، قالوا يا رسول الله سواك ؟ قال : سواي**[٢]) .

وروى البزار بسند مرفوع : (**إن الرجل ليشفع للإثنين والرحل للرجل**[٣])، وله من حديث سفيان الثوري: عن آدم بن علي ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : **(يقال للرجل قم يا فلان ، واشفع ، فيقوم الرجل ، فيشفع للقبيلة ، ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله**[٤]) .

فالمؤمنون يوم القيامة يشفعون كل واحد منهم على قدر طاعته وقربه من ربه، وكلما كان المؤمن أكثر إيماناً وتقى كان أحرى بالشفاعة لإخوانه ، أما إذا كان من أهل المعاصي فلا شفاعة له .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بعد ذكر دخول الجنة : (**ثم أقول : يا رب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول : نعم أخرجوا من النار من كان في قلبه ثلثي دينار ، نصف دينار، ثلث دينار ، ربع دينار حتى بلغ قيراطين – أخرجوا من لم يعمل خيراً قط ، قال : ثم يؤذن في الشفاعة فلا يبقى أحد إلا شَفَعَ ، إلا اللعَّان فإنه لا يَشْفَعُ ، حتى إن إبليس ليتطاول يومئذ في النار رجاء أن**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٤/٢٥٧ ، ٢٦١، ٢٦٧ ، وقال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه أحمد بإسناد جيد جـ٤/٤٤٥ . ، كنز العمال ح رقم ٣٧٨٣٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ح رقم ٤٣١٦ ، والإمام أحمد في المسند جـ٣/٤٦٩ .

(٣) أخرجه البزار في مسنده ح رقم ٣٤٧٣ . قال المنذري(٤/٢٤١):رواته رواه الصحيح وقال الهيثمي(١٠/٣٨٢): رجاله رجال الصحح .

(٤) ذكره الزبيدي في " إتحاف السادة المتقين " جـ١٠/٤٩٥ .

يشفع له ، مما يرى من رحمة الله ، حتى إذا لم يبق أحد إلا شُفِّعَ ، قال : بقيت أنـا أرحـم الـراحمين ، فيخـرج منهـا مـالا يحصـى عـدتهم غيـره ، كـأنهم الخشـب المحترقـة ، فيطرحـون علـى سط نهـر علـى بـاب الجنـة ، يقـال لـه نهـر الحيـاة ، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل)[١] .

٤- شفاعة الشهداء :

يأذن الله تعالى يوم القيامة للشهداء الذين قاتلوا أعداء الإسلام حتى قُتِلُوا في سبيل اللـه وابتغـاء مرضـاته فـي الشـفاعة فيشـفعون لأهلـيهم وأقـاربهم ، ومـن الأدلـة علـى هذا حديث المقداد بن معدكرب رضـي اللـه عنـه قال : قال رسول اللـه ﷺ : **(للشهيد عند الله ست خصال : يغفر لـه فـي أول دفقـه مـن دمـه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حليـة الإيمـان ، ويـزوج مـن الحـور العين ، ويجـار مـن عذاب القبر ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوته منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنين وسبعين من الحور العين ، ويشفع فـي سبعين إنسانا من أقاربه**[٢]) .

ومنهـا حـديث أبـي الـدرداء رضـي اللـه عنـه قـال : قـال رسـول اللـه ﷺ : (**يشـفع الشهيد في سبعين من أهل بيتـه**[٣])، وعن عثمـان بن عفان رضـي اللـه عنـه قال: قال رسول الله ﷺ:(**يشفع يوم القيامة ثلاثة، الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء**[٤]).

٥- شفاعة أولاد المؤمنين لآبائهم يوم القيامة :

كذلك يشفع الله تعالى أبناء المسلمين يوم القيامة في آبائهم ، فقد روى الإمام مسلم بسنده أن أبا حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه قد مات لي ابنان ، فما أنت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد – باب قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة) ح رقم ٧٤٣٧ . وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان – باب معرفة طريق الرؤية ح رقم ٤٥٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٤/١٣١ ، والترمذي في سننه جـ٤/١٨٨ – كتاب فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد ، وقال هذا حديث حسن .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب الجهاد – باب في الشهيد يشفع جـ٣/٣٤ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه – كتاب الزهد – باب ذكر الشفاعة جـ٢/١٤٤٣ وأخرجه البيهقي في شعب الايمان ج٢/٢٦٥رقم١٧٠٧.

محدثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا ، عن موتانا ؟ قال: نعم **(صغارهم دعاميص**[١] **الجنة يتلقى أحدهم أباه – أو قال : أبويه – فيأخذ بثوبه – أو قال : بيده – كما آخذ أنا بصنَفَة ثوبك هذا ، فلا يتناهى – أو قال : فلا ينتهي – حتى يدخله الله وأباه الجنة**[٢]) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله وإياهم بفضل رحمته الجنة، وقال: يقال لهم ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: حتى يجيء أبوانا، قال: ثلاث مرات: فيقولون: مثل ذلك، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم**)[٣].

ثالثا : الأعمال الصالحة التي تشفع لصاحبها :

يشفع الله تعالى بعض الأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد ويأتي بها في الدنيا مخلصا لله فيها ومن ذلك القرآن الكريم وصوم رمضان ، وذكر الله والخوف منه .

١– شفاعة القرآن لصاحبه :

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤوا الزهراوين، البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان**[٤]**، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا**

(١) الدعاميص : جمع دعموص ، أي صغار أهلها ، وأصل الدعموص : دويبة تكون في الماء لا تفارقه ، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها : راجع : شرح صحيح مسلم للنووي جـ١٤٤٣/٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه جـ٢٠٢٩/٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٥١٠/٢ ، والنسائي في سننه – كتاب الجنائز – باب من يتوفى له ثلاثة جـ٢٥/٤ .

(٤) الغياية : كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها راجع : النهاية في غريب الحديث لابن الأثير جـ٤٠٣/٣ .

سورة البقرة ، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة)[١] أي السحرة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له : تبارك الذي بيده الملك)**[٢] !

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله تعالى به الجنة ، وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار)**[٣] !

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب إرض عنه فيقال له اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة)**[٤] .

٢- شفاعة الصيام للصائمين :

يشفع الصيام يوم القيامة للصائم ومما يدل على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال فيشفعان)**[٥] .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين – باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة جـ١/٥٥٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب الصلاة– باب في عدد الآي– والترمذي في سننه جـ٥/١٩٤ . كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء في فضل سورة الملك ، وقال الترمذي : حديث حسن .

(٣) تحفة الأحوذي جـ٢/١٨٢ كتاب فضائل القرآن – باب ما جاء في فضل قارئ القرآن ، وقال الترمذي هذا حديث غريب .

(٤) رواه الترمذي وحسنه – تحفة الأحوذي جـ٨/١٩٥ ، ورواه ابن خزيمة وقال صحيح الإسناد .

(٥) أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح – المسند جـ٢/١٧٤ ، والحاكم في المستدرك جـ١/٥٤٤ .

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: " الصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها، سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام الشراب، والنكاح ومقدماتها، أم لا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم والسماع المحرم والنظر المحرم والكسب المحرم، فإذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها، فإنه يشفع عند الله يوم القيامة، ويقول: يارب منعته شهواته فشفعني فيه، فهذا لمن حفظ صيامه، ومنعه شهواته، فأما من ضيع صيامه، ولم يمنعه عما حرمه الله عليه، فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له: ضيعك الله كما ضيعتني، وكذلك القرآن إنما يشفع لمن منعه من النوم بالليل، فإن من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له "[١] .

٣- العمل الصالح والتوبة :

ذكر القرطبي في التذكرة[٢]: أن ابن المبارك ذكر في "دقائقه" قال: أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم، قال: بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة وأحسن ما خلق الله وجها وثيابا وأطيبه ريحا ، فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء أمنه، وكلما تخوف شيئاً هون عليه، فيقول له: جزاك الله من صاحب خيراً من أنت؟ فيقول: أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك، وفي دنياك، أنا عملك كان والله حسنا ، فلذلك تراني حسنا، وكان طيباً فلذلك تراني طيباً. تعال فاركبني فطالما ركبتك في الدنيا،وهو قوله تعالى:﴿**وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ ...** الآية﴾[٣] حتى يأتي به إلى ربه – عز وجل – فيقول : يارب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله، وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحبي هذا قد شُغِلَ في نفسه ، فيقول الله تعالى: فما تسأل؟ فيقول: المغفرة والرحمة أو نحو هذا فيقول: فإني قد غفرت له، ثم يكسى حلة الكرامة، ويجعل عليه

---

(١) راجع : لطائف المعارف لابن رجب ص ١٨٢ .
(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة – للقرطبي جـ١/٤٢٦ .
(٣) سورة الزمر : الآية ٦١ .

تاج الوقار، فيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين، ثم يقول: يارب إن أبويه قد شُغِلَ عنهما ، وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل على أبويه من عمله فيعطي أبويه مثل ما أعطي " .

وذكر أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق) قال رسول الله ﷺ : (**يُؤْتَى يوم القيامة بالتوبة في صورة حسنة ورائحة طيبة فلا يجد رائحتها ولا يرى صورتها إلا مؤمن فيجدون لها رائحة وأنسا ، فيقول الكافر والعاصي المصر : ما لنا ما وجدنا ما وجدتم ولا رأينا ما رأيتم ، فتقول التوبة : طالما ما تعرضت لكم في الدنيا ما أردتموني ، فلو كنتم قبلتموني لكنتم اليوم وجدتموني فيقولون : نحن اليوم نتوب فينادي منادٍ من تحت العرش : هيهات ذهبت أيام المهلة وانقضى زمان التوبة فلو جئتموني بالدنيا وما اشتملت عليه ما قبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم ، فعند ذلك تنأى التوبة عنهم وتبعد ملائكة الرحمة عنهم وينادي مناد من تحت العرش : يا خزنة النار هلموا إلى أعداء الجبار**[1]) .

وإذا كان قد اعتاد كثير من الناس الاعتماد على شفاعة الصلحاء ، واستساغوا كلَّ لون من ألوان الانحراف والخروج عن طاعة الله ، ارتكانا على هذه العقيدة ، فقطع الله حجتهم ، وأنزل قوله : ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً * وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[2] .

إن الدين الحق هو إسلام الوجه لله ، وإحسان العمل ، وإن روح الإسلام هي

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٤٢٧ .

(٢) سورة النساء : الآيات ١٢٣ : ١٢٥ .

وصاية الرسول ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها : (**اعملي يا فاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئا**)[١] .

والله يتنزه عن محاباة أحد من خلقه وهذه سنته في الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلا مَا سَعَى*وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى**﴾[٢] .

(١) صحيح مسلم -كتاب الإيمان- باب في قول الله تعالى: (**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**) ح رقم ٢٠٤ .

(٢) سورة النجم : الآيات ٣٦ : ٤١ .

المبحث الخامس

المقام المحمود

الخاص برسول الله ﷺ

يقول الله تعالى :﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾(١) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : (المقام المحمود) : هو مقام "الشفاعة العظمى" لسيد الخلق ﷺ " وعسى من الله واجبة " أي ليست للترجي بل للتحقيق ، أي سيبعثك مقاماً محموداً(٢) ، مقاماً يحمده لك كل الناس .

ومعنى الآيات : أي دوام أيها الرسول على إقامة الصلاة في أوقاتها من زوال الشمس إلى ظلمة الليل، وصل صلاة الفجر بتدبر وخشوع ، واقرأ فيها كتاب ربك ، فإن صلاة الفجر تشهدها ملائكة الرحمن ، ومن الليل فقم بعد النوم متهجداً لربك عابداً ، تطوعا لك زيادة في حسناتك ، لعل الله أن يقيمك في المحشر مقاما محموداً ، يحمدك عليه الأولون والآخرون .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "وقوله تعالى: ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ أي افعل هذا الذي أمرتك به ليبعثك يوم القيامة مقاما محموداً يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى .

قال ابن جرير : أكثر أهل التأويل : ذلك هو المقام الذي يقومه محمداً ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس يريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ، عن حذيفة قال : يُجْمَعُ الناس في صعيد واحد يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياماً لا تكلم نفسا إلا بإذنه ، ينادى يا محمد ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يدك والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك،

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) راجع : التفسير الواضح الميسر ص ٧٠٧ .

ومنك وإليك، لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وكذا قال مجاهد والحسن البصري .

وقال قتادة : هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ، وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود . قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشاركه فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد ، فهو أول من تنشق عنه الأرض يبعث راكبا إلى المحشر ، وله اللواء الذي تحته آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر وارداً منه وله الشفاعة العظمى عند الله تعالى ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق ، وذلك بعد ما يسأل الناس آدم ثم نوحاً، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، فكل يقول لست لها حتى يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول : أنا لها ... ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها ، وهو أول الأنبياء يُقضى بين أمته ، وأولهم إجازة على الصراط بأمته ، وهو أول شفيع في الجنة ، وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم ، ويشفع في درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق إلا له ، وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولا يشفع مثله ، ولا يساوى في ذلك .

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : "إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء كل أمة تتبع نبيها فيقولون يا فلان اشفع ، يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاما محموداً " . وفي رواية : "إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً يحمده أهل الجمع كلهم "(١) .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب التوحيد – باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء غيرهم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (**من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي**)(١) .

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال : (**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر**)(٢) .

وفي صحيح مسلم رحمه الله قال رسول الله ﷺ : (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأول شافع وأول مشفع**)(٣) .

وعنه ﷺ في قوله تعالى : ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ قال : هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه(٤) .

وقال الإمام القرطبي : ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام، فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم ... ثم قال حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي، قال ابن فضيل، عن ليث عن مجاهد في قوله:﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ قال: يجلسه معه على عرشه، وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ، وذلك ما حدثنا به أبو كريب قال : حدثنا وكيع ، عن داود بن يزيد ، عن أبيه، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ عندما سُئِلَ عن قول الله تعالى : ﴿**عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً**﴾ قال : هي الشفاعة(٥) .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الأذان – باب الدعاء عند الأذان جـ١/١٥٣ .

(٢) أخرجه الترمذي ج٥/٥٨٦،رقم٣٦١٣وقال حسن:والإمام أحمد فى مسنده ج٥/١٣٧،رقم٢١٢٨٣،والحاكم ج٤/٨٨،رقم٦٩٦٩،قال الذهبي: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في قول النبي ﷺ : (**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا**) ح رقم ٤٨٤ .

(٤) راجع : مختصر تفسير ابن كثير جـ٢/٣٩٢– ٣٩٥ . والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٢/٤٤٤ ، جـ٢/٥٢٨ .

(٥) تفسير القرطبي ج١٥/١٤٥،١٤٣بتصرف.راجع:العقائد الإسلامية – السيد سابق ص٢٧٤،٢٧٣.

وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ قال : (**يُبْعَثُ الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتـي علـى تـل ، ويكسـوني ربـي – تبـارك وتعـالى – حلـة خضراء ثـم يـؤذن لـي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود**)[١] .

وبناء على ما تقدم نقول إن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى التي تكون لرسول الله ﷺ يوم القيامة[٢] في طلبه من الله فصل القضاء بين الخلائق وصرفهم من موقف الحشر لشدة وهول ما يكون فيه يومئذ .

وكذلك مـا خُصّ بـه نبينـا ﷺ يوم القيامـة مـن أنـه أول شـافع ، وأول مشفع ، وأول من يفتح أبواب الجنة ، وأول من يدخلها هو وأمته ، وصاحب لواء الحمد يوم القيامة ينطوي تحت آدم فما دونه من البشر ، وهو سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، فليس هناك أحد أرفع مقاما عند ربه منه ﷺ ، وبذلك يتحقق ما وعد الله به رسوله في قوله : ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[٣] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٣/٤٥٦ قال في مجمع الزوائد جـ٧/٥١ ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة جـ٢/٣٦٤ رقم ٧٨٥ .

(٢) راجع : أركان الإيمان – وهبي سليمان غاوجي ص ٢٩٣ : ٢٩٧ .

(٣) سورة الضحى : الآية ٥ .

المبحث السادس

الأسباب التي تحصل بها الشفاعة

والأسباب التي تمنعها

أولا : الأسباب التي تحصل بها الشفاعة :

إن الشفاعة مِنَّةٌ من الله تعالى، وتفضل وتكرم ورحمة منه على المؤمنين من عباده ، إلا أنها تعطى لمن أذن لهم فيها ممن استحقوها بسبب فعلهم للطاعات التي قربتهم من الله واستجلبت محبته لهم فخصهم بهذا الفضل دون غيرهم ومن الأسباب التي تحصل بها الشفاعة :

١- القرآن الكريم :

حيث إن القرآن الكريم هو أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه ، ويتحقق ذلك بقراءته وحفظه وتدبره ، ومعرفة معانيه وأحكامه ، والعمل بما فيه من أوامر ونواه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:(**القرآن شافع مشفع وما حل مصدق من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**)[١] .

وعن أبي أمامة الباهي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**)[٢] ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله تعالى به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار**)[٣] .

---

(١) أخرجه ابن حيان ج١/٣٣١،رقم١٢٤،والبيهقى فى شعب الإيمان ج٢/٣٥١،رقم٢٠١٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل القرآن – شرح النووي جـ٦/٩٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه – باب ما جاء في فضل قارئ القرآن جـ٤/٢٤٥ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعزاه في الأصول إلى أحمد وابن ماجه والدارمي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفِرَ له وهي : تبارك الذي بيده الملك**)(١) .

٢– الصيام :

ومن أسباب حصول المؤمنين على الشفاعة في الآخرة "الصيام" ويتحقق هذا بصيام الأيام المفروضة ، التي شرعها الله تعالى ، وكذلك صوم النفل مما سنه الرسول ﷺ تقربا إلى الله واحتسابا وطلبا لرحمته وعفوه .

ومن الأدلة على ذلك حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال : فيشفعان**)(٢) .

٣– الأولاد الصالحون :

يحصل العبد يوم القيامة على الشفاعة بسبب صلاح أبنائه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (**إن الله عز وجل ليرفع درجة العبد الصالح في الجنة فيقول : يارب أنَّى لي هذه ؟ فيقول باستغفار ولدك لك**)(٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : (**من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلْبِسَ يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكس والداه حلتان لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن**)(٤) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لنسوة من الأنصار : (**لا يموت لإحداكن ثلاثه من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة ، فقالت امرأة منهن : أو اثنين**

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه جـ٢٣٨/٤ ، وأبو داود في سننه ١١٩/٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ١٧٤/٢ ، والحاكم في المستدرك جـ٥٤٤/١ وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٠٩٢) والهيثمي في مجمع الزوائد جـ٢١٠/١٠ .

(٤) رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم،ج٧٥٦/١،رقم٢٠٨٦.

يا رسول الله قال أو اثنين)[١] ، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : **(من ابتلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**)[٢] .

٤- سكنى المدينة المنورة والموت بها :

إن من يسكن المدينة المنورة ويصبر على المكث والعيش فيها إلى أن يموت بها يشفع له خير من سكنها وهو رسول الله ﷺ ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(من صبر على لأوائها[٣] وشدتها كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة**)[٤] يعني المدينة .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:**(لا يصبر أحد على لأوائها فيموت إلا كنت له شفيعا، أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلما**)[٥]. وقال ﷺ:**(من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها**)[٦] .

٥- الدعاء بما ورد عند الأذان والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ بعده :

فقد جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **(من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة – المراد دعوة التوحيد – والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة**)[٧] .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب البر والصلة والأدب – باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه جـ٤/٢٠٢٨ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والأدب – باب فضل الإحسان إلى البنات رقم ٢٦٢٩، وأخرجه البخاري ح رقم ١٤١٨ .

(٣) اللأواء : الشدة وضيق المعيشة .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الحج – باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها جـ٢/١٠٠٤ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الحج – باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها جـ٢/١٠٠٢ .

(٦) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب – باب فضل المدينة جـ٥/٧١٩ .

(٧) صحيح البخاري – كتاب الأذان – باب الدعاء عند الأذان جـ١/١٥٣ .

كما أن الصلاة على النبي ﷺ من أسباب حصول صاحبها على الشفاعة ، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : (**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة**)(١) .

٦- المصلون على الميت الموحد لله عز وجل :

يدل على هذا ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: (**ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا الله فيه**)(٢) .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**)(٣) .

٧- كثرة السجود :

روى الإمام أحمد في المسند عن زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: كان النبي ﷺ يقول للخادم: (**ألك حاجة قال حتى كان ذات يوم فقال : يا رسول الله حاجتي، قال: وما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: ومن دلك على هذا؟ قال ربي، قال: فأعني بكثرة السجود**)(٤).

والمراد بالسجود هو سجود الصلاة والغاية منه هو إظهار الخضوع والتواضع والعبودية لله تعالى فيجب علينا الحرص كل الحرص على اغتنام هذه الأسباب ، والله الموفق(٥) .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه – كتاب الصلاة – باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ جـ٢/٣٥٤ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الجنائز – باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه جـ٢/٦٥٤ .

(٣) صحيح مسلم جـ٢/٦٥٥ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده جـ٣/٥٠٠ .

(٥) راجع : الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها ص ٩٧ .

ثانيا : الأسباب التي تمنع الشفاعة :

إذا كان من المؤمنين من يأذن له الله في الشفاعة في الآخرة ، فإن هناك يومئذ من يمنع من أن يَشْفَعْ أو يُشَفَعُ له لأسباب كان قد أتى بها في الدنيا ومنها :

١- الشرك بالله عز وجل والكفر به :

يعتبر الشرك بالله أعظم الذنوب وأكبر الكبائر التي يعصى العباد بها ربهم، ولا يغفر الله سبحانه وتعالى لصاحبه إلا بالتوبة وقد جاءت الأدلة على أن الشرك يمنع الشفاعة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾[١] .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من أسعد الناس بشفاعتك قال ﷺ :(**من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه**)[٢] . فإذا كان أسعد الناس بالشفاعة من كان موحداً لله ، فإن المشرك والكافر محروم من الشفاعة .

٢- اللعن بغير حق :

اللعن : هو طلب الطرد من رحمة الله ، وقد بين الرسول ﷺ في الأحاديث أن اللاعن تعود عليه اللعنة إذا كان الملعون لا يستحق اللعن، لذا فإن اللعانين لا شفاعة لهم في الآخرة، ويدل على هذا حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**)[٣] .

٣- الغلو في الدين والتشدد بما ليس فيه :

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : (**صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم ، وكل غالٍ مارق**)[٤] .

---

(١) سورة يس : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ٢٠٧/٧ .

(٣) أخرجه مسلم –كتاب البر والصلة والآداب– باب النهي عن لعن الدواب وغيرها جـ٢٠٠٦/٦.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير جـ٢٨/٨ والأوسط جـ٢٠٠/١ ، قال المنذوي في الترغيب والترهيب جـ١٨٥/٣ : رواه الطبراني في الكبير رجاله ثقات .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**رجلان ما تنالهما شفاعتي : إمام ظلوم غشوم ، وآخر غالٍ في الدين مارق فيه**)(١) .

ثالثا : الاستشفاع بالنبي ﷺ :

الاستشفاع بالرسول ﷺ هو طلب الشفاعة في أمور الدنيا في حال حياته ، وقد يكون الاستشفاع بغيره ﷺ .

وهو من الأمور الجائزة ، بل هو من الأمور التي حث عليها رسول الله ﷺ، لأن فيها نفعاً للمسلمين ، وكان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون إلى الله عز وجل بدعائه وشفاعته ﷺ .

ويوضح عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ابن أبي العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية بقوله :

" وأما الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ، ففيه تفصيل : فإن الداعي تارة يقول : بحق فلان ، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته ، فهذا محذور من وجهين : أحدهما : أنه أقسم بغير الله . والثاني اعتقاده أنَّ لأحد على الله حقا ، ولا يجوز الحلف بغير الله وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه .... ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم – إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئا – وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا أن يُسأل بسببه ويتوسل به لأن السبب هو ما نصبه الله سببا " .

وفي المسند من حديث أبي سعيد عن النبي ﷺ في قول الماشى إلى الصلاة : (**أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك**)(٢)، فهذا حق السائلين هو أوجبه على نفسه ، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يثيبهم ....

فإن قيل : فأي فرق بين قول الداعي (بحق السائلين عليك) وبين قوله (بحق نبيك أو نحو ذلك) ؟ فالجواب : أن معنى قوله (بحق السائلين عليك) أنك وعدت

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة جـ١/٢٣ ، والطبراني في الكبير جـ٢٠/٢١٤ .
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، وابن ماجه في السنن جـ١/٢٥٦ رقم ٧٧٨ .

السـائلين بالإجابـة ، وأنـا مـن جملـة السـائلين فأجـب دعـائي ، بخـلاف قولـه (بحـق فلان) وإن كان لـه حق على الله بوعده الصـادق – فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنـه يقول لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي؛ وأي مناسبة فـي هذا وأي ملازمـة ؟ وإنمـا هذا من الاعتداء فـي الدعاء ، وقد قال اللـه تعالى: ﴿**ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[١] ، وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ ، ولا عن أصحابه ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة ، .... والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على الاتباع ، لا على الهوى والابتداع .

وإن كـان مـراده الإقسـام علـى اللـه بحـق فـلان محـذور أيضـا ، لأن الإقسـام بـالمخلوق علـى المخلـوق لا يجـوز ، فكيـف علـى الخـالق ؟! وقـد قـال ﷺ : (**مـن حلف بغير الله فقد أشرك**)[٢] .

ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم : يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام ونحو ذلك ، حتى كره أبو حنيفة ومحمد أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمقعد العز من عرشك ، ولم يكرهه أبو يوسف لما بلغه الأثر فيه . وتارة يقول بجاه فلان عندك ، أو يقول : نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك ، ومراده لأن فلانا عندك ذو جاهة وشرف ومنزلة فأجب دعانا ، وهذا أيضا محذور .

فإنـه لـو كـان هذا هو التوسل الذي كـان الصـحابة يفعلونـه فـي حياة النبـي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كان في الاستسقاء وغيره ، فلما مات قال عمر رضي الله عنه لما خرجوا يستسقون: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٥٥ .

(٢) أخرجه الترمذي عن ابن عمر : راجع : مشكاة المصابيح – كتاب الإيمان والنذور –ح رقم ٣٤١٩- جـ٢/١٠٢٠ .

نتوسل إليك بعم نبينا "[١] ، معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله ، ليس المراد أنا نقسم عليك به ، أو نسألك بجاهه عندك . إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس .

وتارة يقول : باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم ، ونحو ذلك ، فهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع ، فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال وغلط بسببه من لم يفهم معناه : فإن أريد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا ، وهذا أهل للمحبة والطاعة والاقتداء- : فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، وإما بمحبة السائل واتباعه ، أو يراد به الإقسام به والتوسل بذاته ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه .

وكذلك السؤال بالشيء ، قد يراد به التسبب به ، لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الإقسام به .

ومن الأول : حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار ، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما ، فإن الصخرة انطبقت عليهم ، فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة ، وكل واحد منهم يقول : فإن كنت فعلت ذلك فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال ، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ويتوجه إليه ويسأله به ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات يزيدهم من فضله .

فالحاصل : أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر ، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعه في الطلب ، بمعنى أنه صار به شفعا فيه بعد أن كان وتراً، فهو أيضا قد شَفَّعَ المشفوع إليه، وبشفاعته صار فاعلا للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه ، والله تعالى وتر ، لا يشفعه أحدٌ ، فلا يشفع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاستسقاء - باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا أقحطوا جـ١/١٦ .

عنده أحدٌ إلا بإذنه فالأمر كله إليه ، فلا شريك له بوجه . فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله : (ارفع رأسك ، وقل تُسمع ، واسأل تعطه ، واشفع تشفع) فيحد له حداً فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله ، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾[١]، وقال تعالى:﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ**﴾[٣] .

فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء ، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته ، وإذا كان رسول الله ﷺ قال لأهله ولأقربائه ولأخص الناس له : (**لا أملك لكم من الله شيء**)[٤] فما الظن بغيره؟ وإذا دعاه الداعي، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة : لم يكن هذا هو المؤثر كما يؤثر المخلوق في المخلوق ، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع ، وهو الخالق لأفعال العباد ، فهو الذي وفَّق العبد للتوبة ثم قبلها ، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه ، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه ، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر ، وأن الله خالق كل شيء[٥] .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٥٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٨ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان – باب وأنذر عشيرتك الأقربين ح رقم ٢٠٤، ٢٠٥ .

(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ص ١٧٦ – ١٨٠ بتصرف .

المبحث السابع

منكرو الشفاعة والمخالفون فيها والرد عليهم

أولاً : منكرو الشفاعة :

بعد بيان أنواع الشفاعة وأقسامها ومعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة فيها ، فإننا نجد من الفرق والمذاهب الإسلامية من ينكرها أو يخالف ما أُجْمِعَ عليه وما ثبت بالأدلة القاطعة .

فالشفاعة العظمى التي تكون لرسولنا ﷺ يجمع عليها المسلمون ولا ينكرها أحد ، أما غيرها من الشفاعات فنجد من ينكرها جميعا ، ومن يقول بأن شفاعة الرسول ﷺ في الآخرة تكون للمؤمنين الموحدين من أهل الجنة برفع درجاتهم فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، ولا ينالها العصاة من المؤمنين ، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها مع تواتر الأحاديث فيها .

يقول ابن المنير في تعليقه على الزمخشري مبيناً مذهبه الاعتزالي في ذلك : " ما أنكرها – أي الشفاعة – القدرية – إلا لإيجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم ، فهذه الحالة في إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة "(١) .

أي أن المعتزلة لما كانوا يقولون بوجوب ثواب الطائع وعقاب العاصي في الآخرة ، فإنه يترتب على ذلك عدم قبول شفاعة الشفعاء في الآخرة لإخراج المعذبين في النار منها .

وعند الخوارج القول بكفر العصاة المرتكبين للآثام ما داموا أنهم لم يتوبوا منها ، فإذا ماتوا دون توبة فهم مخلدون في الآخرة في النار مع الكافرين ، فعندهم من مات من المسلمين ولم يتب من ذنبه الذي ارتكبه في الدنيا يكون في الآخرة في النار خالداً مخلدا فيها أبداً .

---

(١) الإنصاف على هامش الكشاف جـ١/١٥٢ .

وهذا على خلاف ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة حيث يعتبرون المذنب من المسلمين عاصي وليس بكافر ، فإن مات قبل أن يتب من ذنبه ، عومل معاملة المسلمين من تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ، وهو في الآخرة أمره مفوض إلى الله تعالى ، إن شاء عفا عن ذنبه وقبله عنده وأدخله الجنة بفضله ، وإن شاء أدخله النار وعاقبه فيها على ذنبه وهذا بعدله ، إلا أنه لا يخلد في النار فيمكث فيها ما شاء الله أن يمكث ثم يخرجه منها ويدخله الجنة إما بفضل الله وبعفوه وإما بشفاعة الشافعين ممن يأذن الله لهم في الشفاعة.

يقول القاضي عياض رحمه الله تعالى : " مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً وتحقيقها سمعا بصريح قوله تعالى : ﴿**يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾(١) ، وقوله : ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾(٢) . وأمثالها ، وبخير الصادق ﷺ ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة عليها ومنعت الخوارج والمعتزلة منها وتأولت الأحاديث الواردة فيها ، واعتصموا بمذاهبهم في تخليد المؤمنين في النار محتجين بقوله تعالى : ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾(٣) وقوله تعالى:﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾(٤)، وهذه الآيات في الكفار ، أما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار(٥).

وقد أنكر الصحابة رضي الله عنهم ذلك عليهم وحدثوهم بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك(٦) .

---

(١) سورة طه : الآية ١٠٩ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .
(٣) سورة المدثر : الآية ٤٨ .
(٤) سورة غافر : الآية ١٨ .
(٥) راجع: شرح صحيح مسلم جـ٣/٣٥،اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث ص٨٧،٨٩.
(٦) راجع : أمثلة على إنكار الصحابة رضي الله عنهم لمذهب الخوارج والمعتزلة ، كتاب شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي جـ٦/١٠٨٩ وما بعدها .

وعن مذهب المعتزلة في الشفاعة يقول القاضي عبد الجبار : " لا خلاف بين الأئمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة ، إنما الخلاف في أنها تثبت لمن ؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة "[١] .

وقد استدل الخوارج والمعتزلة على قولهم بآيات الوعيد في القرآن الكريم الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار ، وعدم إخراجهم منها ، وأن هذا يدل على ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب .

وقد ذهب البعض في العصر الحديث إلى ما ذهب إليه المعتزلة والخوارج في قولهم في الشفاعة ومن هؤلاء د/ مصطفى محمود في مصر فقد نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ١٩٩٩/٥/١م ص٢٦ مقالاً له بعنوان : ﴿**وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[٢] أنكر فيه الشفاعة ، وأكد أنه لا شفاعة لرسول الله ﷺ ولا لغيره ، وأكد فيه أنه لن يخرج أحد من النار !! .

وبالنظر في أدلة المنكرين للشفاعة والمخالفين لمذهب أهل السنة فيها ، نجد أنها أدلة واحدة أو متقاربة ، دحضها العلماء وردوا عليها وبينوا بطلانها وأدلتهم إما آيات قرآنية صرفوها عن معناها الصحيح المراد منها ، أو فهموها فهما غير صحيح ، وإما أحاديث نبوية طعنوا في صحتها ونحن نقف عليها ونبين قول المخالفين ورد أهل السنة عليهم .

ثانياً : أدلة المنكرين للشفاعة والرد عليها :

١- استدل المنكرون للشفاعة من القرآن الكريم بأن من دخل النار لا يخرج منها وبالتالي فلا شفاعة ، ولن يخرج أحد من النار لا بشفاعة ولا بغيرها ، وطريقتهم في ذلك أخذ الآيات التي في خلود الكافرين في النار وجعلها على

---

(١) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد ص ٦٨٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٧ .

المسلمين ومن هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿**يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾[١] .

ونرد على من يستدل بهذه الآية على إنكار الشفاعة للعاصين من المسلمين أن الآية نزلت تتحدث عن الكافرين بدليل ما جاء قبلها في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾[٢] .

فالآية واضحة في أنها في الكفار ولا تفيد أبداً أن المسلم إذا دخل النار لا يخرج منها ، بل ولا علاقة لها بالمسلم .

٢- يستدلون على إنكار الشفاعة بقول الله تعالى عن أهل النار في سورة المؤمنون : ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾[٣]، فنرد عليهم بأن هذه الآية ليست في المؤمنين ، وإنما هي في الكافرين ، يوضح هذا الآيات التي قبلها والتي بعدها ، يقول الله تعالى : ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾[٤] .

إن المسلمين الذين يرجون رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ هم أهل الآية الأولى ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ أما الذين سيقول الله لهم : ﴿ **اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ**﴾ فهم الكفار الذين قال الله لهم : ﴿ **أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي**

(١) سورة المائدة : الآية ٣٧ .
(٢) سورة المائدة : الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .
(٣) سورة المؤمنون : الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ .
(٤) سورة المؤمنون : الآيات ١٠٢ : ١٠٨ .

تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ هؤلاء الكفار المكذبون بآيات الله هم الذين سيطلبون الخروج من النار فيقول الله لهم : ﴿**اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾ فكيف يصح حمل ما للكفار من العذاب على أنه للمسلمين ؟! والآيات واضحة كل الوضوح في أن هذا الخلود للكافرين ![1] .

- ويستدلون بقوله تعالى : ﴿**كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[2] فالآية تفيد أن أهل النار لا يخرجون من النار ! ولكن من هم ؟ إنهم الذين عبدوا غير الله ، إنهم المشركون والكافرون ، تنطق بذلك الآيتان قبل هذه الآية يقول الله تعالى:﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**﴾[3] .

واضح كل الوضوح أن قول الله تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ إنما هو في حق الذين اتخذوا آلهة من دون الله ، جعلوها "ندا" أي معادلاً لله هؤلاء هم الذين لا يخرجون من النار .

ومن العجيب أنه وسط الآية الأولى من هذه الآيات الثلاث يثني ربنا على المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ**﴾ ، وبأسلوب رائع قسمت الآية الناس قسمين : أناس يعبدون غير الله ، ومؤمنين كل حبهم لله .

---

(١) راجع : الرد على د/ مصطفى محمود في إنكار الشفاعة – د/ عبد المهدي عبد القادر – هدية مجلة الأزهر – ربيع الآخر ١٤٢٠هـ ص ١١ ، إظهار الشناعة في الرد على منكر الشفاعة – د/ محمد فؤاد شاكر – ص ٦٣ وما بعدها .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٦٧ .
(٣) سورة البقرة : الآيات ١٦٥ – ١٦٧ .

- كما يستدل منكرو الشفاعة بقول الله تعالى : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾(١) على خلود من يدخل النار فيها ، وأنه لا تنفعهم الشفاعة ، وأن النبي ﷺ لا يشفع للفجار والفساق ، لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً لمن في النار وقد نفى الله تعالى عنه ذلك .

ويرد عليهم بأن هذه الآية تتحدث عن الكافر الذي دخل النار بسبب كفره، ومعناها : من استحق العذاب بسبب كفره فأنت لا تنقذه ، فإن دخول الكافر النار أمر ثابت ، ولا يقبل الشفاعة ، ولا الكلام ، كما قال سبحانه : ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾(٢) ، وكما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً * وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(٣) .

- ويستدلون على نفي الشفاعة بقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٤) فهم يقولون إن الآية تنفي الخلة والشفاعة يوم القيامة ، ولكن قول هؤلاء غير صحيح لأن قوله تعالى : **(لاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ)** لا يعني نفي الشفاعة عن الموحدين، ولا يعني هذا التعبير نفي الخلة والشفاعة مطلقا لهذا عقب الله سبحانه بعد هذا القول بقوله تعالى : **(وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** ليثبت أن هذا النفي للخلة والشفاعة خاص بالكافرين ، ودليلنا النقلي على تعلق قوله تعالى : **(وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** بما سبق أن هذا القول لو جعلناه في ابتداء الكلام لغير مراد الله في معناه ، لأن غير الكافرون يكونون من الظالمين .

---

(١) سورة الزمر : الآية ١٩ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤ .
(٣) سورة الإسراء : الآيتان ٩ ، ١٠ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .

(وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) أي ظلموا أنفسهم بعدم إيمانهم وتوحيدهم لله سبحانه وتعالى ، وظنوا وتوهموا أنهم سيجدون يوم القيامة خليلاً ينفعهم أو شفيعاً يحميهم فحرمهم الله سبحانه وتعالى الخلة والشفاعة .

فالشفاعة هنا منفية عن الكفار الذين عبدوا غير الله وماتوا على كفرهم وغيهم فلا خلة لهم ولا شفاعة ، وعند التدقيق نعلم أن نفي الشفاعة في قوله تعالى **(وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)** متعلق بغيره من آيات القرآن الكريم الأخرى المتحدثة عن هذه القضية منها قوله تعالى في حق الكافرين : ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[(١)] .

فالآية تبين أن الكفار يعبدون أصنامهم من دون الله ، ويقولون عنها إنها ستشفع لهم عند الله يوم القيامة ... ولهذا يقول الله لهم : ﴿**مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[(٢)] ظلموا أنفسهم بزعمهم أن الأصنام ستشفع لهم عند الله ، فهل لها علاقة بنفي الشفاعة عن رسول الله وعن غيره من الشفعاء في الآخرة ؟[(٣)] .

– ومن الآيات التي يستدل بها منكرو الشفاعة ما جاء في آيتين من سورة البقرة يقول الله تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[(٤)] ، ويقول تعالى : ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾[(٥)] .

---

(١) سورة يونس : الآية ١٨ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٤ .
(٣) راجع: إظهار الشناعة في الرد على منكر الشناعة– د/محمد فؤاد شاكر– ط١ ١٩٩٩م – ص ٤٠ وما بعدها .
(٤) سورة البقرة : الآية ٤٨ .
(٥) سورة البقرة : الآية ١٢٣ .

هاتان الآيتان على الرغم من تباعدهما في سورة البقرة إلا أن قبل كل منهما آية لفظها واحد وهي : ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾(١) .

وواضح من هذه الآية أن الكلام عن بني إسرائيل ، يذكرهم الله بسالف نعمه على آبائهم، وما كان قد فضلهم به من إرسال الرسل منهم ، وإنزال الكتب عليهم، فضلهم بذلك على سائر الأمم من أهل زمانهم ، ثم يحذرهم من نقمة يوم القيامة ، يوم لا يغني أحد عن أحد ، ولا تنفع الشفاعة لكافر ، ولا يستطيع الإنسان أن يفدي نفسه ، ولا يستطيع أحد أن ينصره .

إن الشفاعة المنفية هنا إنما هي لبني إسرائيل إن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ، فلا شفاعة للكافرين، وإنما الشفاعة لأهل لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهذه الكلمة الفاصلة ، هي الفارق بين الإيمان والكفر(٢) .

- كما يستدل منكرو الشفاعة بما جاء في قول الله تعالى في سورة الشعراء: ﴿**فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾(٣) وبقوله سبحانه في سورة المدثر: ﴿**فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾(٤)، ويرد عليهم بأن الشفاعة المنفية هنا إنما هي للكافرين الذين يعبدون غير الله بدليل ما جاء في الآيات السابقة على الآيات التي استدلوا بها .

فآية الشعراء نقرأ قبلها : ﴿**وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلالٍ**

---

(١) سورة البقرة : ٤٧ ، ١٢٢ .

(٢) راجع:الرد على الدكتور مصطفى محمود في إنكار الشفاعة- د/ عبد المهدي عبد القادر ص٢٧، ٢٨ .

(٣) سورة الشعراء : الآيتان ١٠٠ ،١٠١ .

(٤) سورة المدثر : الآية ٤٨ .

مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾(١) .

وكذلك آية سورة المدثر نقرأ قبلها:**﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ*إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ *فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ*عَنِ الْمُجْرِمِينَ*مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ*قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ*وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ*وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ*حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾**(٢) ، وبذلك يتضح أن المنكرين للشفاعة قد استدلوا في كل ما ذهبوا إليه بالآيات القرآنية المتحدثة عن الكافرين الذين ماتوا على كفرهم .

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله تعالى : " إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشاً ، خرج به عن الكتاب والسنة ، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر ، أخبر الله عز وجل أنهم إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها ، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين ، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة : وأنها إنما هي لأهل الكبائر ، والقرآن يدل على هذا "(٣) .

رد منكرو الشفاعة الأحاديث الواردة فيها :

بعد أن بينا موقف هؤلاء المنكرون للشفاعة من الآيات القرآنية وبالأخص آيات الشفاعة المنفية ، واستدلالهم بها على ما ذهبوا إليه ووضوح بطلان ما ذهبوا إليه ، نبين موقفهم من الأحاديث الواردة في الشفاعة .

فمنهم من لم يلتفت أصلا إلى أحاديث الرسول ﷺ الواردة في الشفاعة ، ومنهم من ردها وطعن في صحتها ، فمن شبه الخوارج والمعتزلة العقلية : ما أورده القاضي عبد الجبار حيث قال : " ما روى عن النبي ﷺ أنه قال:**(شفاعتي لأهل**

---

(١) سورة الشعراء : الآيات ٩١ – ١٠١ .

(٢) سورة المدثر : الآيات ٣٨ – ٤٨ .

(٣) الشريعة للآجري ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

الكبائر من أمتي) وهذا الخبر لم يثبت صحته ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ ، ومسألتنا طريقها العلم ، فلا يصح الاحتجاج به "[١] .

ونرد على هذه الشبهة فنقول :

لقد تقدم إيراد هذا الحديث عند الاحتجاج على إثبات الشفاعة في أهل الكبائر، وذكرنا هناك أنه قد أخرجه جمع من أصحاب السنن والمسانيد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، وأن بعض أئمة الحديث قد نصوا على صحته .

ونورد هنا أيضا ما ذكره الإمام ابن كثير عن طريق رواية هذا الحديث :

قال الإمام أحمد : حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا بسطام بن حرب ، عن أشعث الحذَّاء عن أنس بن مالك قال:قال رسول الله ﷺ:**(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)**[٢]، وهكذا رواه أبو داود : عن سليمان عن بسطام ، عن أشعث بن عبد الله، عن جابر الحماني عن أنس .

ويذكر الحافظ ابن كثير طريقا آخر للحديث فيقول : قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا عمرو بن علي : حدثنا أبو داود : حدثنا الخزرج بن عثمان: عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : **(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).** ثم قال : لم يروه عن ثابت إلا الخزرج بن عثمان . وهكذا روى أبو يعلى من طريق يزيد الرقاشي: عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال:**(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)** ، ..... قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

طريق آخر : قال الحافظ البيهقي : أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي أنبأنا محمد بن حمدوية بن سهل المروزي ، أخبرنا أبو نصر الغازي، حدثنا عبد الله بن حماد الأيلي ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد، حدثنا

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٠ .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب : باب في الشفاعة ح رقم ٤٧٣٦ ، وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ١١ حديث ٢٤٣٥ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ح رقم جـ٣/٢١٣ .

زهر بن محمد ، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (**شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي**)(١) .

فقلت : ما هذا يا جابر ؟ قال : نعم يا محمد ، إنه من زادت حسناته على سيئاته فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته فذلك الذي يحاسب حسابا يسيراً ، ثم يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل الجنة ، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوثق نفسه وأعلق ظهره .

وقد روى البيهقي –أيضا– عن الحاكم عن أبي بكر محمد بن جعفر بن أحمد المزكي ، عن محمد بن العبدي ، عن يعقوب بن كعب الحلبي ، عن الوليد بن مسلم عن زهر بن محمد ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، عن جابر أن رسول الله ﷺ تلا : ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾(٢) ثم قال ﷺ : (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)(٣) . قال الحاكم : هذا حديث صحيح .

قال البيهقي : وظاهرة يوجب أن تكون الشفاعة في أهل الكبائر ، تختص برسول الله ﷺ ، فالملائكة إنما يشفعون في أهل الصغائر ، واستزادة الدرجات وقد يكون المراد من الآية، بيان كون المشفوع فيه مرتضي بإيمانه ، وإن كانت له كبائر وذنوب ، دون الشرك ، فيكون المراد بالآية ، نفي الشفاعة للكفار ، لأن الله تعالى لم يأذن بها ولم يرض اعتقاد جوازها .

طريق آخر للحديث : روى الطبراني في معجمه الكبير ، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال:قال رسول الله ﷺ:(**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)(٤) .

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى جـ١٧/٨ ، وذكره ابن عدي في "الكمال" في الضعفاء جـ١٠٧٧/٣ ، وأخرجه ابن ماجه ، في كتاب الزهد – باب ذكر الشفاعة ح رقم ٤٣١٠ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٨ .
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير جـ٢٣٢/١ .

ونحـن نقـول : إن الأحاديـث الـواردة فـي الشـفاعة أحاديـث متـواترة ، إلا أن المنكرين للشفاعة إما أن يقولوا بضعفها أو يعرضوا عنها، والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ، فيه وعيد شديد ، وإذا كان قد ورد ذكر بعض هذه الأحاديث في ثنايا البحث فإن الأمر يقتضي ذكر بعضها هنا مع التعليق عليها وبيان أقوال العلماء فيها زيادة في الرد على منكري الشفاعة(١) .

ونبدأ بما أورده الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار . وقد أورد فيه عدداً من الروايات عن عدد من الصحابة مرفوعة إلى رسول الله ﷺ صريحة في إخراج الموحدين من النار ، نذكر منها :

- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار ، ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمماً قد امتحشوا(٢) ، فيلقون في نهر الحياة أو الحيا ، فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل، ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية**)(٣).

- ورواية أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها، ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم** (أو قالوا بخطاياهم) **فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً أَذِنَ في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**) . فقال رجل من القوم :كأن رسول الله ﷺ كان في البادية(٤) .

---

(١) راجع : النهاية في الفتن والملاحم – لابن كثير جـ١٨٢/٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣ .

(٢) امتحشوا : احترقوا .

(٣) صحيح مسلم جـ١٨٤/٣٠٤.أخرجه البخاري في الرقاق – باب صفة الجنة والنار ح رقم٦٥٦٠.

(٤) صحيح مسلم ح رقم ١٨٥/٣٠٦ .

فقد فرق في هذا الحديث بين أهل النار المخلدين فيها ، وهم الذين لا يحيون فيها ولا يموتون ، وهم الكفار ، وبين الموحدين من أهل المعاصي .

ثم أتبعه بباب "آخر أهل النار خروجاً" وأورد فيه : حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : (**إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبواً فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فأدخل الجنة ، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة ، وفي الثالثة فيقول له : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، وإن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال : فيقول : أتسخر بي (أوتضحك بي) وأنت الملك ، قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة**)[1] .

ثم ساقه الإمام مسلم بأطول من ذلك في رواية أخرى[2] ، ثم أتبعه بباب "أدنى أهل الجنة منزلة فيها" وأورد فيه رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواية أبي ذر رضي الله عنه[3] ، ورواية جابر رضي الله عنه ، وفيه : (**ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ...**)[4] الحديث .

وفيه قول جابر إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (**إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة**) .

كما أورد رواية زيد الفقير – الذي شغفه رأي الخوارج – عن جابر رضي الله عنه، وفيها بيان السبب الذي جعل الخوارج ومن يقول بقولهم يحكمون على

---

(١) صحيح مسلم ح رقم ١٨٦/٣٠٨ .
(٢) ح رقم ١٨٧/٣١٠ .
(٣) من رقم ١٨٨/٣١١ – ١٩٠/٣١٤ .
(٤) ح رقم ١٩١/٣١٦ .

أصحاب المعاصي من الموحدين بالخلود في النار ، وأنه الجهل وعدم الفقه في الدين حيث انطلقوا إلى آيات من كتاب الله نزلت في الكفار فطبقوها على المسلمين جهلا منهم بالسنة المبينة للقرآن .

وقد ساق الإمام مسلم الحديث بإسناده إلى أبي عاصم محمد بن أبي أيوب قال: حدثني يزيد الفقير، قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج[١] فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس[٢] ، قال : فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم جالس إلى سارية ، عن رسول الله ﷺ ، قال : (فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال : فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثون؟ والله يقول: ﴿**إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ**﴾[٣]، و﴿**كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا**﴾[٤]، فما هذا الذي تقولون قال فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ (يعني الذي يبعثه الله فيه) قلت نعم ، قال فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج .. قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك. قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم . قال : فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا قلنا : ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا ، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد ، أو كما قال أبو نعيم[٥] .

فهذا الحديث عن يزيد الفقير يبين لك أيها المسلم أن سبب ضلال الخوارج ، ومن يقول بقولهم بالحكم على عصاة الموحدين بالخلود في النار، سواء كانوا خوارج، أم معتزلة يوضح لك أن سبب ضلالهم هو الإعراض عن سنة رسول الله

(١) وهو أنهم يرون أن أصحاب الكبائر يخلدون في النار ، ولا يخرج منها من دخلها .
(٢) أي نخرج على الناس نحدثهم بفكر وأقوال الخوارج .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩٢ .
(٤) سورة السجدة : الآية ٢٠ .
(٥) صحيح مسلم ح رقم ١٩١ .

ﷺ الثابتة عنه ، المروية في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة ، لأنها هي المبينة والموضحة لكتاب الله عز وجل ، فهذا يزيد الفقير يستدل بقوله تعالى : ﴿**إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ**﴾(١). وبقوله تعالى : ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُكُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ** ﴾(٢) والآيتان نزلتا في الكفار المكذبين بالبعث المنكرين لليوم الآخر وما فيه من جزاء وذلك جزاء الكافرين المكذبين باليوم الآخر .

ويزيد الفقير كان جاهلاً بهذا الحديث وهو يبحث عن الحق ، فحين سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه بحديث عن رسول الله ﷺ أن الله يخرج من النار أناساً بعد أن ساروا حمماً أو مثل عيدان السماسم ، قال لأصحابه الذين قد شغفهم رأي الخوارج : أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ ثم رجعوا إلى الحق وتركوا الباطل حين سمعوا سنة رسول الله ﷺ .

فهذه بعض أحاديث الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار التي رواها الإمام مسلم في صحيحه ، وبيان مذهب أهل السنة في العمل بها ، وبيان القاضي عياض أن أحاديث الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين من النار بلغت بمجموعها حد التواتر ، وأجمع أهل السنة على القول بالشفاعة(٣) .

وذكر الإمام الحافظ اللالكائي في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة "باب الشفاعة لأهل الكبائر" ساق فيه ما رُوِيَ عن النبي ﷺ في الشفاعة لأمته وأن أهل الكبائر إذا ماتوا على غير توبه يدخلهم الله إن شاء النار ثم يخرجهم منها بفضل رحمته ويدخلهم الجنة .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩٢ .

(٢) سورة السجدة : الآية ٢٠ .

(٣) راجع : الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ – د/ علي الفقيهي ص ٤٧٥ .

قال : وقد مضى في حديث جابر وغيره في فضائل النبي ﷺ : (**أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي وذكر منها الشفاعة**) .

ثم قال : رواية أبي هريرة : وساق بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني أحب أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**)(١) .

١- ثم ساق عدد من الروايات ختمها برواية المقبري عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: (**لقد ظننت أن لا يسألني عن ذلك أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، إن أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه**)(٢) .

٢- رواية جابر بن عبد الله : وقد ساق عنه عدداً من الروايات بإسناده منها : عن حماد بن زيد قال : قلت لعمرو بن دينار : يا أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله يحدث عن النبي ﷺ قال:(**إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة قال : نعم**)(٣).

وقد ساق عنه عشر روايات .

٣- رواية أبي سعيد الخدري : وقد ساق عنه أربع روايات مرفوعة في إخراج الموحدين من النار بالشفاعة .

٤- رواية أنس بن مالك : وقد ساق عنه عدة روايات منها : عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**)(٤) .

٥- رواية عبد الله بن مسعود : وساق عنه بإسناده ثلاث روايات .

---

(١) رواه البخاري ح رقم ٧٤٧٤ ، ومسلم ح ١٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار جـ٧/٢٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري بلفظ آخر ح ٦٥٥٨ ، ومسلم ح رقم ١٩١ .

(٤) قال الشيخ الألباني في تخريجه لرواية ابن أبي عاصم في السنة ح رقم ٨٣٠ : وهو حديث صحيح وكذا قال في حاشية مشكاة المصابيح جـ٣/٨١ .

٦- رواية أبي ذر : وساق عنه حديث بإسناده عن المعرور .

٧- رواية عبد الله بن عمر : وقد ساق عنه روايتين .

٨- رواية أبي موسى الأشعري .

٩- رواية عوف بن مالك : وساق عنه روايتين .

١٠- رواية أبي أمامة : وساق عنه روايتين .

١١- رواية حذيفة .

١٢- رواية عبد المطلب بن ربيعة .

١٣- رواية أم سلمة .

١٤- رواية عمر بن الخطاب .

فهؤلاء الصحابة جميعا رووا أحاديث الشفاعة عن النبي ﷺ في إخراج الموحدين ممن ارتكبوا الكبائر من النار بالشفاعة(١) .

وقد ذكر أيضا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة باب وجوب الإيمان بالشفاعة ، قول المنكرين للشفاعة وما استندوا إليه من آيات قرآنية وردت في حق الكافرين تنفي عنهم شفاعة الشافعين ، فينسفون من خلالها الشفاعة في الآخرة . ولا يلتفتون إلى سنن رسول الله ﷺ ولا إلى سنن أصحابه ، وإنما يعارضون بمتشابه القرآن وبما أراهم العقل عندهم .

وذكر رواية يزيد الفقير عن جابر، وأورد روايات كثيرة عن ثبوت الشفاعة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم أجمعين(٢) ؛ ثم أتبع هذه بالأبواب التي أورد فيها

---

(١) راجع : كتاب "شرح أصول أهل السنة" للإمام اللالكائي جـ٣/٧٧ - ٩٩ - تحقيق د/ أحمد سعد الغامدي - راجع : الرد القويم البالغ على كتاب الخليل المسمى بالحق الدامغ - د/ علي الفقيهي - ص ٤٧٦ ، ٤٧٨ .

(٢) لولا خشية الإطالة لذكرنا ذلك ولكن للمزيد والوقوف على ما ذكره الآجري عن الشفاعة يراجع كتابه الشريعة : من ح ٧٧٨ : ٧٨٥ . من باب ٦٤ : ٦٨ . جـ٣/١١٩٨ - ١٢٥١ ، راجع : إظهار الشناعة في الرد على منكر الشفاعة ص ٦٨ - ٧٠ .

الروايات المرفوعة الصحيحة والحسنة والروايات الموقوفة الصحيحة إلى من رويت عنه من الصحابة أو من التابعين .

ثم قال : فأنا أرجو لمن آمن بما ذكرنا من شفاعة ، وبقوم يخرجون من النار من الموحدين ، وبجميع ما تقدم ذكرنا له ، وبجميع ما سنذكر إن شاء الله من المحبة للنبي ﷺ ولأهل بيته وذريته وصحابته وأزواجه – رضي الله عنهم أجمعين – أن يرحمنا مولانا الكريم ، ولا يحرمنا وإياكم من تفضله ورحمته ، وأن يدخلنا وإياكم في شفاعة نبينا محمد ﷺ وشفاعة من ذكرنا من الصحابة وأهل بيته وأزواجه رضي الله عنهم أجمعين .

ثالثا : الرد على دعوى المعتزلة عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد :

رد المعتزلة الاحتجاج بحديث رسول الله ﷺ:**(شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)** زعما منهم أنه لو صح فإنه منقول بطريق الآحاد ، فلا يصح الاحتجاج به[1] .

وللرد على هذه الشبهة نقول :

لقد تقدم إيراد هذا الحديث عند الاحتجاج على إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ، وقد أخرجه جمع من أصحاب السنن والمسانيد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم وأن بعض أئمة الحديث نصوا على صحته ، وقد أوردنا ما ذكره الحافظ ابن كثير من طرق الحديث الكثيرة التي روي بها .

وأما دعوى المعتزلة عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد وأنها لا تفيد العلم ولاسيما في أمور العقائد ، فهذه من المسائل التي خالف فيها المعتزلة وغيرهم أهل السنة والجماعة .

فإن أهل السنة والجماعة يرون الاحتجاج بأخبار الآحاد في أمور العقائد والأحكام ، وأنها تفيد العلم ، ولا يفرقون بين الخبر المتواتر وخبر الآحاد إذا كان صحيحا ثابتا عن رسول الله ﷺ .

---

(١) راجع : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٦٩٠ .

يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى : " وبهذا تعلم أن ما أطبق عليه أهل الكلام ومن تبعهم أن أخبار الآحاد لا تُقْبَلُ في العقائد ولا يثبت بها شيء من صفات الله زاعمين أن أخبار الآحاد لا تفيد اليقين وأن العقائد لابد فيها من اليقين – باطل ، لا يعول عليه ، ويكفي من ظهور بطلان أنه يستلزم رد الروايات الصحيحة الثابته عن النبي ﷺ بمجرد تحكيم العقل "(١) .

وقد بحث عدد من علماء أهل السنة والجماعة هذه المسألة فبسطوا الأدلة فيها وردوا على المخالفين(٢) .

رابعا : الرد على الحجج السبع لمنكري الشفاعة(٣) :

لقد تضمن البحث ردوداً مفصلة على هذه الحجج وللتذكرة ولإتمام الفائدة نعرض لكل حجة من الحجج التي صغناها في أسئلة ونرد عليها بإيجاز :

السؤال الأول : هل ينفي القرآن الكريم الشفاعة عند الله عز وجل نفيا مطلقا بمقتضى ورود بعض آيات الشفاعة بالنفي ؟

الإجابة : القرآن الكريم ينفي الشفاعة الشركية ويثبت الشفاعة الإسلامية والمنكرون للشفاعة لا يميزون بين هذه وتلك جهلا أو زيغا وخبثا وزندقة .

السؤال الثاني : هل يتعارض إثبات الشفاعة العظمى يوم القيامة لسيد الخلق ﷺ الوارد في السنة مع آيات نفي الشفاعة في القرآن الكريم كما حاول تصويرها بعض الكتاب ؟

الإجابة : تتفق جميع الأحاديث الواردة في الشفاعة الكبرى نصا وروحا مع آيات وأحكام الشفاعة الإسلامية ، وتؤيدها آيات في كتاب الله لا يمكن تفسيرها إلا

---

(١) مذكرة أصول الفقه ص ١٠٥ .

(٢) راجع : كتاب الرسالة للإمام الشافعي ص ٣٦٩ وما بعدها ، وصحيح البخاري جـ٨/١٣٢ وما بعدها كتاب أخبار الآحاد ، ومختصر الصواعق المرسلة لابن القيم جـ٢/٣٥٩ . وكتاب العقيدة في الله د/ عمر الأشقر ص ٤٦ .

(٣) راجع : الشفاعة أدلة وجوب الشفاعة الإسلامية وبيان خطورة الشفاعة الشركية – د/ فاروق الدسوقي ص ٧٤ : ٧٨ .

بهذه الأحاديث وهي لا تتعارض في قليل أو كثير مع آيات نفي الشفاعة في القرآن الكريم لأن النفي منصب على الشفاعة الشركية فقط ، والقائلون بهذا التعارض يجهلون الفرق بين الشفاعة الشركية والشفاعة الإسلامية نسأل الله لهم الهداية .

السؤال الثالث : هل يتعارض إثبات الشفاعات : شفاعة الرسول ﷺ العظمى وشفاعاته لأهل الكبائر من أمته ، وشفاعات سائر الأنبياء لأممهم وشفاعات الصالحين والشهداء والمؤمنين لذويهم وأهليهم وأخلائهم مع قوله تعالى : ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[١] ؟

الإجابة : هذه الآية الكريمة هي الأصل والمنهج للشفاعة الإسلامية بل هي معيار هذه الشفاعة ، ومن ثم فكل هذه الشفاعات مبنية على هذا الأصل ومتحققة بهذا المنهج وحسب هذا المعيار ومن ثَمَّ فهي إسلامية ، وهي تثبت أن الشفاعات إسلامية غير شركية ولا تنفي شيئاً منها كما توهم الوهمون .

السؤال الرابع : هل يتعارض قبول الله عز وجل شفاعة بعض الشافعين لانقاذ بعض من يستحق العذاب ، أو لإخراج بعض من في النار مع صفة العدالة المطلقة لله عز وجل أو مع اسمه العدل سبحانه ؟ .

وهل يتعارض هذا كله مع قوله تعالى : ﴿**وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا**﴾[٢] ؟

الإجابة: أما عن نهاية السؤال، فإن السياق الذي وردت فيه هذه الآية، بل هذا الجزء من الآية يدل دلالة قطعية محكمة أن الذين صدق عليهم هذا الوعيد الحق هم المشركون، الذين جعلوا مع الله إلها آخر واتبعوا كبراءهم وعبدوهم فأضلوهم، وهذا موافق لما بيناه من نفي انتفاع المشرك بالشفاعة واستحقاقه لوعيد الله بأنه لن يغفر له، وامتناع الرسل والأنبياء عن التشفع للمشركين ولو كانوا أولي قربى ، وهذا لا يتعارض مع عفو الله تعالى عن الذي مات على التوحيد ودخل النار لإرتكاب

(١) سورة الزمر : الآية ٤٤ .
(٢) سورة المائدة : الآية ٣٧ .

الشرور والمعاصي والذنوب لقوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾(١) وهذا لا يتعارض مع عدالة الله المطلقة لأن الذين يخرجون من النار في كل مرحلة شفاعتهم في نفس المستوى من العمل كما مر بنا في الأحاديث إذ ينادي بعد قبول الشفاعة (**أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من شعيرة وبعدها من كان في قلبه مثقال حبة من برة**) ، فيخرج كل من يصدق عليه الوصف ، ويعتبر الاستشهاد بقوله تعالى : (**وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ**) وهو جزء من آية للتمويه على السامع على طريقة (**ولا تقربوا الصلاة**) أو (**ويل للمصلين**) تحريفا لكتاب الله بالمعنى بعد العجز عن تحريفه بكلماته ...

السؤال الخامس : هل قبول الشفاعة يعني تراجع في الحكم الإلهي على العبد المنتفع بالشفاعة ؟ وهل يعني هذا تغييراً في المشيئة الإلهية ؟ أي هل إثبات الشفاعة يتعارض مع عقيدة القضاء والقدر التي تقرر تحديد مصير العبد في الجنة أم في النار قبل بدء الخلق ؟

الإجابة : معلوم لله تعالى قبل الخلق ومدون في أم الكتاب مراحل مصير العبد والتغييرات التي ستصيبه مستقبلاً ، ولو تعارض إثبات الشفاعة مع القضاء والقدر لما كان للدعاء من فائدة ، ولما أمرنا الشرع بالدعاء ، والطلب من الله تعالى واستجابة الله تعالى له ، فدخول عبد النار ثم خروجه منها بشفاعة أحد وبعفو الله هو من قدر الله الذي علمه وقدره قبل الخلق .

وشأن الشفاعة بالنسبة للقضاء والقدر شأن الدعاء فإذا كانت هذه حجة لإبطال الشفاعة فليبطلوا الدعاء أيضا بنفس الحجة ! لعل الدعاء هو الذي عليه الدور في الانكار عند المنكرين ولعلهم يعدون العدة له الآن ؟ .

---

(١) سورة النساء : الآية ٤٨ ، ١١٦ .

السؤال السادس : هل يترتب على إثبات الشفاعة وانقاذ البعض من العذاب وصف الله عز وجل بصفات غير لائقة بكماله عز وجل مثل المحاباة والتحيز والكيل بمكيالين استجابة لطلبه ورغبة الشفعاء ؟

الإجابة : قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[١] وقال: ﴿**مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً**﴾[٢] إن من تصرف في ملكه ما ظلم ، ومع هذا فقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً ونهانا عن الظلم ، وعدله مطلق فهو سبحانه لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تَك حسنة يضاعفها ، ويعامل عبيده بعفوه وفضله ورحمته ، وهذا خير لهم من أن يعاملهم بعدله ، فماذا يقول منكرو الشفاعة التي يخرج بها على مراحل من تبقى في قلوبهم بعض الخير مع تفاوت في مقدار هذا الخير ، أليس من عدل الله الذي يحاسب بالذرة أن يخرج الأثقل خيراً ثم الأقل خيراً وهكذا ، وكيف يتحقق قول الله تعالى : ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾[٣] إلا بالكيفية المفصلة والمبينة في أحاديث الشفاعة ، والتي يؤدي إنكارها إلى اشكالات عقدية خطيرة وإلى شفاعات في حق الله مكفرة .

السؤال السابع : هل يؤدي الإيمان بشفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته ، وشفاعة غيره من الأولياء ، والشهداء والعلماء لذويهم وأخلائهم إلى تواكل المسلمين وترك العمل والأخذ بالأسباب للعمل الصالح ؟ وهل تشجع عقيدة الشفاعة الإسلامية على الفساد وتفتح الباب أمام المسلم للفسوق والعصيان اتكالاً على أن النبي ﷺ سيشفع له وينقذه من العذاب ؟

الإجابـة : الذين يؤمنون بالشفاعة ويعلمون قدر نبيهم ويعلمون وعد ربهم ووعيده لا يلجون بابا للفسق أبداً ... وإنما يفعل ذلك الذين لا يرجون لله وقاراً ولا يعرفون لحبيبه قدراً ، ولئن يعلم العبد أن وقوعه في الشرك يقضي على كل أمل له

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١ ، وسورة الزمر : الآية ٦٧ .

(٢) سورة نوح : الآية ١٣ .

(٣) سورة الزلزلة : الآيات ٦ -٧ .

في النجاة من النار أو الخروج منها خير له حتى يعرض على توحيد ربه وتعظيمه وتوقيره فلا يشرك به أحدا ، ولا يشرك بعبادته أحدا ، ويحرص على تعلم التوحيد ومنه التمييز بين الشفاعة الشركية والشفاعة الإسلامية .

وخير له أن يعلم أن الله غفور رحيم ، ما دام لا يزال موحداً ، فلا يقنط من رحمة الله عز وجل ، وإحسان الظن به سبحانه وتعالى ، والاعتقاد في عفوه ورحمته ، وأنه سبحانه يخرج من النار في الآخرة من الكثرة التي تعطي إبليس رجاء في الخروج ولكنه ليس بخارج منها .

والذي يأمل دخول الجنة برحمة الله تعالى وبشفاعة نبيه ﷺ خير من الذي يعتقد أنه لابد أن يعمل حتى يدخل الجنة بعمله ، لأنه ليس أحداً مستحقا الجنة بعمله ، ومن ظن ذلك فقد زكى نفسه ومن زكى نفسه فقد ضيعها .

الخاتمـة

١- خلاصة الدراسة وأهم النتائج

في نهاية هذه الدراسة عن موضوع الشفاعة يمكن تلخيص ما ورد فيها وإبراز أهم نتائجها في النقاط التالية :

١- الشفاعة هي سؤال الخير للغير ، وحقيقتها التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة وهي تشمل أمور الدنيا والآخرة .

وعناصرها التي تتم وتتحقق بها هي : المشفع عنده ، والمشفع فيه ، والمشفع ، والمشفع من أجله . فالمشفع عنده هو الله ، والعبد الذي استحق العذاب أو توقعه هو المشفع فيه ، والشافع أو الشفيع هو المقرب من الله تعالى الذي يدعوه لكي ينقذ المشفع فيه ، والمشفع من أجله ، وهو طالب المغفرة والرحمة أو العفو والإخراج من العذاب .

٢- لقد تواردت وتواترت الأدلة على ثبوت الشفاعة في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ، ﷺ إلا أن هذه الأدلة تحتاج ممن يقف عليها أن يربطها بالنصوص السابقة عليها والتالية لها لكي يفهم المراد منها فهما صحيحا سليما متكاملاً ، لأن قطع النصوص قد يؤتي في بعض الأحوال إلى عدم معرفة حقيقة المراد منها وفهمها فهما صحيحا .

٣- للشفاعة قسمان : شفاعة الدنيا وهي إما حسنة أو سيئة ، وشفاعة الآخرة وهي إما مثبتة أو منفية .

فالشفاعة الحسنة في الدنيا قد تكون نصرة مظلوم ، أو إيصال حق إلى صاحبه ويثاب عليها صاحبها ، أما الشفاعة السيئة فهي التي تكون في الباطل أو ما هو محرم ويعاقب صاحبها . والشفاعة الحسنة تكون في البر والطاعة ، والسيئة تكون في المعاصي ، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر ومن سعى بالنميمة والغيبة أثم .

ومن الشفاعة السيئة ما يترتب عليها إسقاط حد من حدود الله تعالى ، أو ظلم لأحد من الناس أو إبطال حق .

وجواز الاستشفاع في الدنيا مشروط بأن يكون في حق ضاع أو حق يخشى ضياعه أو في شيء مباح ينتفع به .

أما شفاعة الآخرة فمنها الشفاعة المنفية والمثبته ، أما المنفية فهي التي لا وجود لها حقيقة ولا واقعا، لأن الله نفاها ونفاها أيضا الرسول ﷺ ،كشفاعة الأصنام والتماثيل لعابديها، وكذلك الشفاعة بدون إذن الله تعالى للشافع أو عدم رضاه عن المشفع له .

وأما الشفاعة المثبتة فهي التي يتحقق وقوعها يوم القيامة مثل شفاعة الرسول والأنبياء والملائكة والشهداء والأعمال الصالحة حيث وردت النصوص المثبتة لتحقيقها .

٤- للشفاعة في الآخرة أنواع ، أعظمها وأفضلها وأعمها الشفاعة العظمى الخاصة برسول الله ﷺ والتي يترتب على قبولها عند الله بدأ الحساب وصرف الناس من أرض المحشر ، ثم تليها الشفاعات الأخرى للرسول ﷺ ، ثم الأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين من المؤمنين المقربين عند الله ، ثم شفاعة الأعمال الصالحة لأصحابها .

ولقد خَصَّ الله تعالى رسولنا محمد ﷺ بالمقام المحمود الذي لا يكون لأحد غيره والذي يحمده له ربه ويحمده عليه الناس .

٥- إن الشفاعة منَّة من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده ، ولمن أخذ بأسبابها ومن هذه الأسباب ، الأخذ بالقرآن الكريم تعلما وفهما وعملا ، والصيام الخالص لله رب العالمين ، وصلاح الأبناء في الدنيا وتربيتهم على طاعة الله تعالى وتقواه ، وحب رسول الله ﷺ والبلد التي سكن فيها ، وحب الإقامة فيها وتمني الوفاة فيها . وكثرة السجود وإظهار الخضوع والتواضع والعبودية لله رب العالمين .

ويُمْنَعُ من الشفاعة من كفر بالله أو أشرك ومات على ذلك ، واللعَّان بغير حق والغالي في الدين المتشدد بما ليس فيه ، لأنه يظهر الإسلام بصورة غير

صحيحة ولا لائقة به ، وتتنافى مع الوسطية ، والسماحة ، والسهولة واليسر ، وكل ما عُرِفَ من خير عن الإسلام .

٦- إن عقيدة أهل السنة والجماعة في الشفاعة قائمة على أساس ما جاء بخصوصها في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، حيث يثبتون من الشفاعة ما أثبته القرآن والسنة وينفون منها ما نفاه القرآن والسنة ، وأنها واقعة متحققة بكل أنواعها المثبتة في الآخرة ، ويقرون بالشفاعة الحسنة في الدنيا ويحثون عليها ، ويرفضون الشفاعة السيئة وينهون عنها .

ومن الناس من ينكر الشفاعة بعمومها ويسير على درب من نفاها من غلاة اليهود والنصارى ، ومنهم من يثبت الشفاعة العظمى وينكر كل ما عداها من الشفاعات الأخرى ، ومن هؤلاء المعتزلة والخوارج مأولين نصوص القرآن المثبتة لها ، وصارفين لها عن المعنى الصحيح المراد منها ، ورافضين للأحاديث الصحيحة الواردة بشأنها مدعين أنها غير صحيحة .

ولقد تناول العلماء هذه الأقوال والأراجيف بالدحض والتفنيد لها ، وردوا على هؤلاء وغيرهم ممن قالوا بقولهم وساروا على دربهم ، ثم بينوا بطلان ما ذهب إليه المنكرون للشفاعة .

٢- أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم – كلام رب العالمين .
٢- الاعتقاد على مذهب السلف – الحافظ أبو بكر البيهقي .
٣- الإيمان باليوم الآخر – عبد السلام التنوجي – طبعة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا – ١٣٩٥هـ .
٤- أركان الإيمان – وهبي سليمان غاوجي الألباني – مؤسسة الرسالة – ط٢ ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .
٥- إسلامية لا وهابية – د/ ناصر عبد الكريم العقل – دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع ط٢- ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .
٦- إظهار الشناعة في الرد على منكر الشفاعة – د/ محمد فؤاد شاكر – ط١ –١٩٩٩م.
٧- اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث – د/ محمد بن عبد الرحمن الخميس – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية – ١٤١٩هـ .
٨- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – لابن قيم الجوزية – دار المعرفة بيروت – بدون تاريخ .
٩- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة – لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي – تحقيق / فواز أحمد زمرلي – دار الكتاب العربي بيروت – ط٢- ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
١٠- التعريفات – لعلي بن محمد الجرجاني – دار الكتب العلمية بيروت – ط١ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
١١- التفسير الواضح الميسر – محمد علي الصابوني – الأفق للطباعة والنشر ط٦ – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .
١٢- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل – لابن خزيمة – تحقيق / محمد خليل هراس – دار الكتب العلمية بيروت – ١٣٩٨هـ .
١٣- تهذيب شرح العقيدة الطحاوية – د/ صلاح الصاوي – مطبعة الجامعة الأمريكية المفتوحة – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
١٤- الجامع لأحكام القرآن – لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي – دار إحياء التراث العربي – ١٩٨٥م .
١٥- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – للإمام محمد بن جرير الطبري – دار المعرفة – بدون تاريخ .

١٦- الرد على الدكتور مصطفى محمود في إنكار الشفاعة – د/ عبد المهدي بن عبد القادر عبد الهادي – هدية مجلة الأزهر – ربيع الآخر ١٤٢٠هـ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .

١٧- الرد القويم البالغ على كتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ- أ.د/ علي القفيهي- دار المآثر المدينة المنورة – ط٣- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٨- السنن الكبرى – البيهقي – دار المعرفة بيروت – بدون تاريخ .

١٩- سنن أبي داود – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار إحياء التراث العربي بيروت – بدون تاريخ .

٢٠- سنن ابن ماجه – تحقيق / خليل مأمون شيخا – دار المعرفة بيروت – ط١ ١٩٩٦م.

٢١- سنن الترمذي – تحقيق / أحمد شاكر – محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر – نشر دار إحياء السنة النبوية .

٢٢- الشفاعة – أدلة وجوب الشفاعة الإسلامية وبيان خطورة الشفاعة الشركية – د/ فاروق الدسوقي – ١٩٩٩م .

٢٣- الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين فيها – د/ ناصر عبد الرحمن – دار أطلس – ط٢- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م .

٢٤- شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبد الجبار بن أحمد – مكتبة وهبة – ١٣٩٦هـ - ١٩٨٩م .

٢٥- شرح أصول أهل السنة والجماعة- للإمام اللالكائي- دار طيبة للنشر والطباعة- بدون تاريخ .

٢٦- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية- لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي- تحقيق / أحمد محمد شاكر – مكتبة دار التراث – ١٣٧٣هـ .

٢٧- صحيح البخاري – ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي بيروت – ط١ – ١٤٠٠هـ .

٢٨- صحيح ابن حبان – تحقيق / شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة بيروت – ط٢ ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٢٩- صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – نشر إدارة البحوث العلمية بالرياض – ١٤٠٠هـ .

٣٠- صحيح مسلم بشرح النووي- تحقيق خليل مأمون شيخا- دار المعرفة بيروت – ط١- ١٩٩٤م .

٣١- صحيح مسلم – للإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – بيت الأفكار الدولية – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٣٢- العقائد الإسلامية– السيد سابق – الفتح للإعلام العربي القاهرة – بدون تاريخ .

٣٣- عقيدتنا – د/محمد ربيع محمد جوهري – دار الاعتصام – ط٦ –١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٣٤- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة – عبد الكريم تتان، محمد أديب الكيلاني–دار البشائر للطباعة– ط١– ١٤١٥هـ– ١٩٩٤م.

٣٥- عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري – مؤسسة جمال بيروت – بدون تاريخ .

٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري – للإمام ابن حجر العسقلاني – تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة السلفية – بدون تاريخ .

٣٧- القاموس المحيط – للفيروز أبادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط٢ .

٣٨- الكشاف – للزمخشري – تحقيق / محمد الصادق قمحاوي – طبعة البابي الحلبي مصر – ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

٣٩- لسان العرب – لابن منظور – دار إحياء التراث العربي بيروت .

٤٠- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية – محمد بن أحمد السفاريني – ط٢ المكتب – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٤١- المستدرك على الصحيحين – للحاكم النيسابوري – دار المعرفة بيروت .

٤٢- مجمع الزوائد – للهيثمي – دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي القاهرة – بيروت – ١٤٠٧هـ .

٤٣- مختصر تفسير ابن كثير – اختصار وتحقيق / محمد علي الصابوني – دار القرآن بيروت – ط١ – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٤٤- مشكاة المصابيح للحافظ التبريزي– تحقيق وتخريج الألباني – ط٢ – ١٤٠٤هـ – دار المكتب الإسلامي بيروت .

٤٥- المعجم الكبير – للطبراني– مكتبة العلوم والحكم– الموصل – ط٢ – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .

٤٦- المعجم الوسيط–د/إبراهيم أنيس وآخرون– دار إحياء التراث العربي بيروت– ط١.

٤٧- معارج القبول– للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي – مطبوعات دائرة الإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

٤٨- المسند للإمام أحمد- دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١- ١٩٩١م .
٤٩- المفردات في غريب القرآن- للراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة بيروت - بدون تاريخ .
٥٠- معتقد أهل السنة والجماعة - د/ عبد الله بن سليمان الغفيلي - مجلة البحوث الإسلامية- رئاسة البحوث العلمية والإفتاء الرياض- العدد ٦٤ - ١٤٢٢هـ .
٥١- النهاية في غريب الحديث والأثير - لابن الأثير - تحقيق / محمود الطناجي - القاهرة .
٥٢- النهاية في الفتن والملاحم - للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي - دار المعرفة بيروت - ط٤- ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

٣- فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه